٣٠ـ نصب الاسم ورفعه بعد (لا) التبرئة المكررة

قال تعالى : ﴿ šX qÝèŸr]ù‘ Ÿxù ktø$ Æ ĝšû Ú •ù `Jù ¥M»BqèB ÖÖO% ktø$ 3ª qøÇ9$Š$#“9$žöz c îù ŠrŠr“?r ª!$ç0-èƒ Šöz ôÏ ŠqèÝ? $Br ¥Es¥$’Î A#‰Å Ÿwr É»¥¥F$’ŠrŠ7 Èqà?$ ﴾[1].

قال الفـــراء : « وأمـــا قولـــه : ﴿ ¥Es¥$’Î A#‰Å Ÿwr šX qÝèŸr]ù‘ Ÿxù ﴾ ، يقال : إنّ الرفث الجماع ، والفسوق السباب ، والجدال المماراة في الحج ، فالقراء على نصب ذلك كله بالتبرئة إلا مجاهدًا ؛ فإنّه رفع الرفث والفسوق ، ونصب الجدال[2] ، وكـــل ذلـــك جائز . فمن نصب أتبع آخر الكلام أوّله ، ومن رفع بعضًا ونصب بعضًا فلأن التبرئـــة فيهـــا وجهان : الرفع بالنون، والنصب بحذف النون »[3].

في قوله : « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » قراءتان ســـبعيتان ، ذكرهمـــا الفراء : إحداهما بفتح ما بعد "لا" دون تنوين ، والأخرى برفع "رفث" و"فسوق" منوّنتين ، وفتح "جدال".

أما القراءة الأولى فـــ"لا" الداخلة على الأسماء الثلاثة هي "لا" التبرئة ، يقول الفراء :

---

(١) البقرة : آية ١٩٧.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو : « فلا رفثٌ ولا فسوقُ » بالضم فيهما والتنوين ، وقرأ الباقون بـــالفتح دون تنـــوين ، ولم يختلفوا في فتح اللام من (جدال).

السبعة ١٨٠، والتبصرة ٤٣٧-٤٣٨، والإقناع ١/٦٠٨.

ونسبة الفراء قراءة ابن كثير وأبي عمرو إلى مجاهد أيضًا في : الكشف ١/٢٨٦.

ونسب شمس القراء الكرماني إلى مجاهد خلاف ذلك ، يقول : "وعن مجاهد : فلا رفثَ ولا فسوقَ" بالنصب فيهما، و"لاجدال" بالرفع والتنوين". شواذ القراءات ٨٦.

(٣) معاني القرآن ١/١٢٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

« فالقراء على نصب ذلك كله بالتبرئة ».

وهذا القول عليه النحاس[١] والأزهري[٢] والفارسي[٣] والنحويون[٤].

وقوله : "في الحج" متعلق بمحذوف خبر ، وهو خبر المبتدأ على مذهب سيبويه ؛ لأنه يرى أنّ "لا" مع اسمها في موضع رفع بالابتداء[٥].

ويرى الأخفش[٦] والمازني[٧] والمبرد[٨] أنّ "لا" تعمل عمل "إنّ" فالخبر لها ، وعليه قوله : "في الحج" متعلق بمحذوف خبر "لا".

وفي فتحة اسم "لا" هنا خلاف بين النحويين ، فذهب سيبويه[٩] والأخفش[١٠] والمبرد[١١] والفارسي[١٢] وأكثر النحويين[١٣] إلى أنّ حركة اسم "لا" التبرئة إذا كان مفردًا حركة بناء ؛ لتركب الاسم مع "لا" تركب خمسة عشر.

---

(١) إعراب القرآن ١/٢٩٤.

(٢) علل القراءات ١/٧٥.

(٣) الحجة ٢/٢٩١.

(٤) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : الكشف ١/٢٨٦، وشرح الهداية ١/١٩٥، وحجة القراءات ١٢٩، ومشكل إعراب القرآن ١/١٢٣، وكشف المشكلات ١/١٤٧، والبيان ١/١٤٧، والفريد ١/٤٣٢.

(٥) الكتاب ٢/٢٧٤-٢٧٦، وينظر : المسائل المنثورة ٨٦، وكشف المشكلات ١/١٤٧، والبيان ١/١٤٧.

(٦) معاني القرآن ١/٢٤.

(٧) التذييل والتكميل ٥/٢٣٤.

(٨) المقتضب ٤/٣٥٧.

(٩) الكتاب ٢/٢٧٤، ٢٨٣، ويرى السيرافي أنّ الحركة عند سيبويه حركة إعراب . شرح السيرافي ٣/٨٢.

(١٠) معاني القرآن ١/٢٤-٢٥.

(١١) المقتضب ٤/٣٥٧-٣٥٨. وخالف المبرد في المثنى وجمع السلامة للمذكر ؛ إذ ذهب إلى أنهما معربان. ينظر : المقتضب ٤/٣٦٦، وشرح التسهيل ٢/٥٧، والتذييل والتكميل ٥/٢٤٥.

(١٢) الإيضاح العضدي ٢٣٩، والمسائل العسكرية ٢٤٤، والمسائل المنثورة ٨٤-٨٥.

(١٣) ينظر : ارتشاف الضرب ٣/١٢٩٦، والتذييل والتكميل ٥/٢٢٦، وهمع الهوامع ٢/١٩٩.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وذهب الكوفيون[١] وبعض البصريين كالجرمي[٢] والزجاج[٣] والسيرافي[٤] والرماني[٥] إلى أنّ الحركة حركة إعراب.

وليس في "معاني القرآن" للفراء ما يقطع بأنّه يرى رأي الكوفيين أو يدفع ذلك ، وذكره النصب في توجيه القراءة لا يصح أن يكون دليلاً على أنّه يرى رأي الكوفيين ؛ لأنّ الفراء لا يفرق بين ألقاب الإعراب والبناء.

والذي يظهر لي أنّ الفتحة فتحة بناء ؛ لأنّه لو كان معربًا لكان منونًا ، ولا مسوغ هنا من المسوغات التي يحذف التنوين لأجلها من الأسماء المتمكنة كمنع الصرف أو الإضافة[٦].

وأما قول الكوفيين : إن التنوين حذف حملاً على ما كان مضافًا فيرده عدم اطراده في كل ما يجوز إضافته من الأسماء المفردة المنونة[٧].

وقولهم أيضًا : إنّ "لا" تنصب دون تنوين ؛ لأنّها فرع لـ"إنّ" في العمل ، والفرع ينحط عن الأصل في العمل يرده أنّ التنوين ليس من عمل "إنّ" ، وإنما هو استحقاق يستحقه الاسم ، والفرع ينحط عن درجة الأصل فيما كان من عمل الأصل ، ثم إنّ انحطاط "لا" عن "إنّ" يكمن في أمور أخرى غير حذف التنوين[٨].

---

(١) الإنصاف م(٥٣) ١/٣٦٦، والتبيين م(٥٦) ٣٦٢، وارتشاف الضرب ٣/١٢٩٦، وائتلاف النصرة ٥٠-٥١.

(٢) ارتشاف الضرب ٣/١٢٩٦، والتذييل والتكميل ٥/٢٤٩، وهمع الهوامع ٢/١٩٩.

(٣) شرح السيرافي ٣/٨٢أ ، والتسهيل ٦٧، وشرح الكافية للرضي ٢/١٥٥.

(٤) شرح السيرافي ٣/٨٢ب .

(٥) ارتشاف الضرب ٣/١٢٩٦، والتذييل والتكميل ٥/٢٤٩، والتصريح ١/٢٣٩.

(٦) شرح التسهيل ٢/٥٨.

(٧) الإنصاف ١/٣٦٧.

(٨) الإنصاف ١/٣٦٩-٣٧٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقول بعض النحويين : إنّ التنوين حذف تخفيفًا قولٌ فاسد ؛ لأنّه لو كان كذلك لكان حذفه من النكرة المطولة أولى ؛ لأنّ المطول أولى بالتخفيف مما ليس فيه طول ، تقول العرب : "لا خيرًا من زيد" بالتنوين ولا تحذفه(١).

وأمّا قراءة ابن كثير وأبي عمرو برفع "رفث" و"فسوق" فليس في كلام الفراء ما يحمل توجهيًا لها ، بل اكتفى بقوله : « ومن رفع بعضًا ونصب بعضًا فلأنّ التبرئة فيها وجهان : الرفع بالنون ، والنصب بحذف النون » ، وقوله هذا أقرب إلى وصف ما يجوز بعد "لا" التبرئة إذا تكررت .

وغير الفراء ممن وجه القراءة اتفقوا على أنّ "لا" في قوله : "ولا جدال" هي "لا" التبرئة، واختلفوا في "لا" ووجه رفع ما بعدها في قوله : "فلا رفث ولا فسوق" ، ولهم فيها توجيهات :

التوجيه الأول :

أن يكون المرفوع بعد "لا" مرفوعًا بـ"كان" مضمرة ، والتقدير : "فلا يكن فيه رفث ولا فسوق".

وهذا التوجيه عزي إلى أبي عمرو بن العلاء(٢) ، واقتصر عليه البيضاوي(٣) ، وجوّزه النحاس(٤) والقرطبي(٥).

و"كان" هنا يمكن أن تكون تامة ، فلا تحتاج إلى خبر ، ويمكن أن تكون ناقصة ، وحينئذٍ يكون الخبر محذوفًا(٦).

---

(١) التذييل والتكميل ٥/٢٤٩.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١/٢٩٤-٢٩٥، والجامع ٢/٤٠٨.

(٣) أنوار التنزيل ٢/٤٨٥.

(٤) إعراب القرآن ١/٢٩٤-٢٩٥.

(٥) الجامع ٢/٤٠٨.

(٦) الجامع ٢/٤٠٩.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التوجيه الثاني :

أن تكون "لا" ملغاة ، وما بعدها مبتدأ ، وهذا التوجيه اقتصر عليه الأزهري[١] والباقولي[٢] والأنباري[٣] وابن أبي مريم[٤] ، وجوّزه الزجاج[٥] والنحاس[٦] والفارسي[٧] وغيرهم[٨].

وفي خبر الأسماء الثلاثة على هذا التوجيه أقوال :

الأول : أنّ قوله : "في الحج" متعلق بمحذوف خبر عن المبتدأ الأول والثاني و"لا" مع اسمها ، وذلك على مذهب سيبويه في أنّ "لا" مع اسمها في موضع رفع بالابتداء[٩].

الثاني : أنّ متعلق "في الحج" خبر المبتدأ الأول والثاني ، وخبر "لا جدال" محذوف ، تقديره : "في الحج"[١٠].

الثالث : أنّ متعلق "في الحج" خبر "لا جدال" ، وخبر ما قبله محذوف ، تقديره : "في الحج"[١١].

---

(١) علل القراءات ١/٧٥.

(٢) كشف المشكلات ١/١٤٧.

(٣) البيان ١/١٤٧.

(٤) الموضح ١/٣٢٠.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٧١.

(٦) إعراب القرآن ١/٢٩٤.

(٧) الحجة ٢/٢٨٩.

(٨) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : الكشف ١/٢٨٦، والتبيان ١/١٦١، والدر ٢/٣٢٥.

(٩) الحجة ٢/٢٨٩، والموضح ١/٣٢٠.

(١٠) علل القراءات ١/٧٥.

(١١) الكشف ١/٢٨٦، والبيان ١/١٤٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التوجيه الثالث :

أن تكون "لا" عاملة عمل "ليس" ، والخبر محذوف ، تقديره : "في الحج".

وهذا التوجيه اقتصر عليه المهدوي[١] والواحدي[٢] وغيرهما[٣] ، وجوّزه النحاس[٤] والفارسي[٥] وغيرهما[٦].

وخالف ابن عطية في الخبر على هذا التوجيه ؛ إذ ذهب إلى أنّ قوله : "في الحج" خبرٌ لقوله : "فلا رفث ولا فسوق ولا جدال" ؛ لأنّ "لا" التي بمعنى "ليس" هي واسمها في موضع رفع بالابتداء ، ولا عمل لها في الخبر ، فهي ليست مثل "ليس" في رفع الاسم ونصب الخبر[٧].

وردّ أبو حيان قول ابن عطية ؛ لأنّ "لا" إذا كانت بمعنى "ليس" فهي مثلها في رفع الاسم ونصب الخبر ، دليل ذلك أنّ العرب حين صرحت بخبر "لا" أتت به منصوبًا[٨] ، قال الشاعر[٩] :

وحلت سواد القلب لا أنا باغيًا سواها ولا في حبها متراخيا

والراجح عندي من التوجيهات السابقة الثاني الذي تكون "لا" فيه ملغاة ، وما بعدها

---

(١) شرح الهداية ١/١٩٤.

(٢) الوسيط ١/٣٠١.

(٣) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : المحرر ٢/١٢١، وإيجاز البيان ١/١٤٣، والفريد ١/٤٣٣.

(٤) إعراب القرآن ١/٢٩٤.

(٥) الحجة ٢/٢٩٠.

(٦) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : الكشف ١/٢٨٦، والتبيان ١/١٦١، والجامع ٢/٤٠٨، والدر ٢/٣٢٥.

(٧) المحرر ٢/١٢١-١٢٢.

(٨) البحر ٢/٨٩.

(٩) من الطويل ، للنابغة الجعدي ، في : ديوانه ١٧١، وأمالي ابن الشجري ١/٤٣٢، والجنى الداني ٢٩٣، ومغني اللبيب ٣١٦، وتخليص الشواهد ٢٩٤، والمقاصد النحوية ٢/١٤١، وخزانة الأدب ٣/٣٣٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مبتدأ ، ويكون خبر الأسماء الثلاثة جميعها متعلق "في الحج" ؛ إذ هذا التوجيه يفضل التوجيهين الآخرين من وجهين :

١ــ أنّه سالم من التقدير.

٢ــ أنّ إعمال "لا" عمل "ليس" قليل جدًّا ، ولم يرد منه في كلام العرب إلا الشذر اليسير[١] ، وقد أمكن حمل القراءة على وجه غير ضعيف .

وأما اختيار كون خبر الأسماء الثلاثة متعلق "في الحج" فلأنّ الصحيح في "لا" التبرئة أنّها مع اسمها في موضع رفع بالابتداء ؛ لجواز حمل التوابع جميعها على الموضع قبل الإتيان بالخبر ، فيقال : "لا رجل عاقلٌ في الدار" ، ولولا أنّ "لا" مع اسمها بحكم اسم مبتدأ لما جاز الحمل على الموضع قبل الخبر[٢].

(١) البحر ٢/٨٩.

(٢) التذييل والتكميل ٥/٢٣٦.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣١ ـ تعدي (ترك) إلى مفعولين

قال تعالى : ﴿ a! $= dŒ ¼ãöm $B ÒN ä$ Ê& $£-ù #Y$R ‰‰ qçG"$ " Ï‰GèVJ . ÒNGeB ﴾ ﴿ bqãÅ_ö ÷w ÒNGù Ò3ã ÑÑçB¼ ÇÈ brçÅ6ãz M»JeB 'ÎÒNG.•?r ÒÒÍqã ﴾[١].

قال الفراء : « وفي قراءة عبد الله[٢]: "صمًّا بكمًا عميًا" بالنصب ، ونصبه على جهتين؛ إن شئت على معنى : "تركهم صمًّا عميًا" ، وإن شئت اكتفيت بأن توقع الترك عليهم في الظلمات ، ثم تستأنف "صمًّا" بالذم لهم ، والعرب تنصب بالذم وبالمدح ؛ لأن فيه مع الأسماء مثل معنى قولهم : "ويلاً له" ، و"ثوابًا له" ، و"بعدًا" ، و"سقيًا ورعيًا"»[٣].

لقراءة : « صمًّا بكمًا عميًا » توجيهات خمسة ، ذكر الفراء منها توجيهين ، وإليك البيان :

توجيه الفراء الأول :

أن يكون "صمًّا" مفعولاً ثانيًا لـ"ترك" في قوله: « وتركهم في ظلمات لا يبصرون ».

وهذا التوجيه اقتصر عليه الزجاج[٤] ، وجوّزه النحاس[٥] والعكبري[٦] وأبو حيان[٧] وغيرهم[٨].

---

(١) البقرة : آية ١٧-١٨.

(٢) قراءة النصب قرأ بها عبد الله بن مسعود وحفصة ـ رضي الله عنهما ـ والضحاك وزيد بن علي.
إعراب القرآن للنحاس ١/١٩٣-١٩٤، وشواذ ابن خالويه ١٠-١١، والمحرر ١/١٣٢، وشواذ القراءات ٥٣.

(٣) معاني القرآن ١/١٦.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٩٤.

(٥) إعراب القرآن ١/١٩٤.

(٦) إعراب القراءات الشواذ ١/١٢٨.

(٧) البحر ١/٨٢.

(٨) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : الفريد ١/٢٣٤، والجامع ١/٢١٤، والدر ١/١٦٦، ومنار الهدى ٣٤، وروح المعاني ١/١٧٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وعلى هذا التوجيه يكون الفعل "ترك" بمعنى "صير" أو "جعل" متعديًا إلى مفعولين ، ويكون قوله : « في ظلمات » متعلقًا بـ"تركهم" ، أو في محل نصب على الحال ، وقوله : « لا يبصرون » في محل نصب على الحال[١].

توجيه الفراء الثاني :

أن يكون النصب على الذم.

وتوجيه الفراء هذا جوّزه الطبري[٢] والمنتجب[٣] وغيرهما[٤] ، وضعّفه ابن عطية[٥] ، ولم يبيّن وجه الضعف ، قال أبو حيان : « ونص بعض المفسرين على ضعف النصب على الذم ، ولم يبين جهة الضعف ، ووجهه أن النصب على الذم إنما يكون حيث يذكر الاسم السابق ، فتعدل عن المطابقة في الإعراب إلى القطع ، وههنا لم يتقدم اسم سابق تكون هذه الأوصاف موافقة له في الإعراب ، فتقطع ، فمن أجل هذا ضعف النصب على الذم»[٦].

وقد شبه الفراء نصب الأسماء هنا على الذم بنصب المصادر التي فيها معنى الطلب نحو : "ثوابًا له" ، و"بعدًا له" ، و"سقيًا ورعيًا" ، ومرد ذلك فيما يظهر لي أنّ تلك المصادر منها ما هو دعاء بالخير ، والدعاء بالخير يلمح منه المدح للمدعو له ، ومنها ما هو دعاء بالشر، والدعاء بالشر يلمح منه الذم للمدعو عليه.

التوجيه الثالث :

أن يكون النصب على الحالية ، وصاحب الحال هو الضمير في قوله : "تركهم".

---

(١) البحر ١/٨٢.

(٢) جامع البيان ١/١٤٦.

(٣) الفريد ١/٢٣٤.

(٤) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : الجامع ١/٢١٤، والبحر ١/٨٢، والدر ١/١٦٦، ومنار الهدى ٣٤.

(٥) المحرر ١/١٣٢.

(٦) البحر ١/٨٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وهذا التوجيه جوّزه الطبري[١] ومكي[٢] وابن عطية[٣] وغيرهم[٤].

التوجيه الرابع :

أن يكون النصب على الحالية، وصاحب الحال هو الضمير في قوله : "لا يبصرون".

وجوّز هذا التوجيه الطبري[٥] والعكبري[٦] والمنتجب[٧] والسمين[٨] ، وضعّفه أبو حيان[٩] والألوسي[١٠] دون بيان وجه الضعف ، ويبدو لي أن سبب ضعفه عندهما عدمُ استقامة المعنى عليه ، فإن المعنى على هذا التوجيه أنهم صمٌّ بكمٌ عميٌ حين لا يبصرون.

التوجيه الخامس :

أن يكون النصب بإضمار "أعني" ، وقد جوّز هذا التوجيه النحاس[١١] ومكي[١٢] وغيرهما[١٣].

---

(١) جامع البيان ١/١٤٦.

(٢) مشكل إعراب القرآن ١/٨٠

(٣) المحرر ١/١٣٢.

(٤) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : البيان ١/٦٠، والفريد ١/٢٣٤، وأنوار التنزيل ١/٣٣٠، والبحر ١/٨٢، والدر ١/١٦٥-١٦٦.

(٥) جامع البيان ١/١٤٦.

(٦) التبيان ١/٣٤.

(٧) الفريد ١/٢٣٤.

(٨) الدر ١/١٦٥-١٦٦.

(٩) البحر ١/٨٢.

(١٠) روح المعاني ١/١٧٢.

(١١) إعراب القرآن ١/١٩٤.

(١٢) مشكل إعراب القرآن ١/٨٠.

(١٣) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : البيان ١/٦٠، والبحر ١/٨٢، وروح المعاني ١/١٧٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ويظهر لي أنّ أرجح التوجيهات هو جعل النصب على الحالية ، وصاحب الحال الضمير في "تركهم" ، أو جعل المنصوب مفعولاً ثانيًا لـ"ترك" ، والأول أقوى من الثاني ؛ لأن بعض النحويين يمنع تعدي "ترك" إلى مفعولين ، ويجعل المنصوب الثاني بعده منصوبًا على الحال[١] . وأما التوجيهات الباقية ففيها ضعف لا يخفى.

(١) ارتشاف الضرب ٤/٢١٠٤.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣٢ـ حذف الفاعل

قال تعالى : ﴿ $JÎr <Ù è/ 4?ã ÓgŸÒè/ ª! $ŸÏŽÒù $JÎ ä$¡ Ï9$'?ã šc qè%§ Ä%`Ìh9$ bqè=ƒB ÓÉ<Ø$ ª! $ áÿm $JÎ Éø=ÿ¼ M»àÿ»m M»GŸ% Ìh» sÎ=Á9$ ÏNÏ°qÐ& ôÏ ¨qàÿR& ¨qèd? Ÿxù Ïnà6 ZèÛ& Ìhîù £èqçÎÑ$ ÆÅ_$ÒJø$ 'Î £èrèÍ=d$ Æ èqÝÁÈù Æ è=qàÈ .(١) ﴾ #ZÎÏŸ2 $ÏÎã šc %. Ø$ÏbÎ ¸x‹Î™ £ÍÏãã

قال الفراء : « وبعضهم يقرأ(٢) : "بما حفظ اللهُ" ، فنصبه على أنْ يجعل الفعل واقعًا ؛ كأنّك قلت : "حافظات للغيب بالذي يحفظ الله" ؛ كما تقول : "بما أرضى الله" ، فتجعل الفعل لـ"ما" ، فيكون في مذهب المصدر ، ولست أشتهيه ؛ لأنّه ليس بفعل لفاعل معروف ، وإنما هو كالمصدر»(٣).

اتفق النحويون على أنّ لفظ الجلالة في قراءة أبي جعفر : « بما حَفِظَ اللهَ » مفعول به لـ"حفظ" ، لكنّهم اختلفوا في نوع "ما" وفي فاعل "حفظ" ، ولهم في ذلك أقوال ، أصدّرها بما ذكره الفراء :

توجيه الفراء :

ذهب الفراء إلى أنّ "ما" مصدرية ، وفاعل "حفظ" محذوف ، ومع اقتصار الفراء على هذا التوجيه إلا أنّه لم يستحسنه ؛ لأنّ فيه حذف الفاعل.

---

(١) النساء : آية ٣٤.

(٢) قرأ : « بما حفظ اللهَ » بنصب لفظ الجلالة أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني.

شواذ ابن خالويه ٣٢، والمبسوط ١٧٩، والغاية ٢٢٦، والكامل في القراءات الخمسين ١٧٩ب ، وشواذ القراءات ١٣٥، والنشر ٢/٢٤٩.

(٣) معاني القرآن ١/٢٦٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وتابع الفراء فيما ذكره الطبري[١] ومكي[٢] والبغوي (ت٥١٦هـ)[٣] وابن الجوزي[٤].

وإذا كان الفراء لم يستحسن التوجيه ؛ لحذف الفاعل فيه فإنّ الباقولي[٥] والعكبري[٦] وجماعة من المعربين[٧] ردّوا التوجيه ؛ للعلة نفسها ؛ إذ التقدير عندهم : "بما حفظ الله" ؛ أي : الصالحات ، فحذف الضمير المرفوع في "حفظ" ، وحذفه لا يجوز.

التوجيه الثاني :

أن تكون "ما" موصولة ، وفاعل "حفظ" ضمير يعود إلى "ما" ، ولا بد من تقدير مضاف قبل لفظ الجلالة ؛ لتعذر أنْ يحفظ الذات المقدسة أحدٌ ، والتقدير : "بالذي حفظ أمر الله"[٨] ، أو "بما حفظ دين الله وشريعة الله"[٩] ، أو "بالذي حفظ حق الله وأمانة الله"[١٠].

وهذا التوجيه اختاره ابن عطية[١١] وأبو حيان[١٢] وغيرهما[١٣] ، واقتصر عليه ابن

---

(١) جامع البيان ٥/٦٠-٦١.

(٢) مشكل إعراب القرآن ١/١٩٧.

(٣) معالم التنزيل ٢/٢٥٧.

(٤) زاد المسير ٢/٧٥.

(٥) كشف المشكلات ١/٣٠٩.

(٦) التبيان ١/٣٥٤.

(٧) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : التبيان في تفسير القرآن ٣/١٨٩، والمحرر ٤/١٠٥، والبيان ١/٢٥٢، والفريد ١/٧٢٨، وأنوار التنزيل ٣/٣١٦، والبحر ٣/٢٤٠.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ١/٤٥٢، والجامع ٥/١٧٠.

(٩) المحتسب ١/١٨٨.

(١٠) الكشاف ١/٥٢٤.

(١١) المحرر ٤/١٠٥.

(١٢) البحر ٣/٢٤٠.

(١٣) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : التبيان في تفسير القرآن ٣/١٨٩، وكشف المشكلات ١/٣٠٩، والبيان ٢/٦٧، وأنوار التنزيل ٣/٣١٦.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جني[١] والزمخشري[٢] والطبرسي[٣] ، وجوّزه النحاس[٤] وجماعة من المعربين[٥].

التوجيه الثالث :

أن تكون "ما" مصدرية ، وفاعل "حفظ" ضمير يعود على جمع الإناث ، والمعنى على هذا التوجيه : بما حفظن الله في امتثال أمره .

وهذا التوجيه جوّزه النحاس[٦] والعكبري[٧] والقرطبي[٨].

وردّ بعض النحويين هذا التوجيه ؛ لأنّ فيه عدم مطابقة الضمير لما يعود عليه ؛ فالضمير مفرد وما يعود عليه جمع.

وأجيب بأنّ جمع الإناث في معنى الجنس ؛ فقوله : « فالصالحات قانتات » في معنى : فمن صلح[٩].

ورُدّ بأنّه لو كان الأمر كذلك لكان ينبغي أن يقال : "بما حفظت الله" ؛ لأنّه لا يجوز حذف تاء التأنيث من الفعل المسند إلى الضمير المؤنث إلا شذوذًا[١٠].

---

(١) المحتسب ١/١٨٨.

(٢) الكشاف ١/٥٢٤.

(٣) مجمع البيان ٢/٦٧.

(٤) إعراب القرآن ١/٤٥٢.

(٥) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : التبيان ١/٣٥٤، والفريد ١/٧٢٨، والدر ٣/٦٧١، وروح المعاني ٣/٢٤.

(٦) إعراب القرآن ١/٤٥٢.

(٧) التبيان ١/٣٥٤.

(٨) الجامع ٥/١٧٠.

(٩) التبيان ١/٣٥٤، والبحر ٣/٢٤٠، والدر ٣/٦٧١.

(١٠) الدر ٣/٦٧١، وروح المعاني ٣/٢٤-٢٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التوجيه الرابع :

أن تكون "ما" نكرة موصوفة ، وفي "حفظ" ضمير يعود على "ما" ، ولا بد هنا من تقدير مضاف قبل لفظ الجلالة كما هو الحال عند من جعل "ما" موصولة.

وجوّز هذ التوجيه العكبري[١] والسمين[٢] والمنتجب[٣] والألوسي[٤].

ومما سبق يظهر لي أنّ الراجح من التوجيهات التوجيه الثاني والرابع اللذان تكون "ما" فيهما موصولة أو موصوفة ، وفاعل "حفظ" ضمير يعود على "ما" الموصولة أو الموصوفة .

أمّا التوجيه الأول والثالث ففيهما حمل القراءة على وجه شاذ في العربية ، وذلك غير مرضي ؛ لإمكان حملها عل وجه لا شذوذ فيه.

---

(١) التبيان ١/٣٥٤.

(٢) الدر ٣/٦٧١.

(٣) الفريد ١/٧٢٨.

(٤) روح المعاني ٣/٢٤.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣٣ـ إفراد الفعل عند إسناده للفاعل

قال تعـــالى : ﴿ 8‰ÝÈ£óœÞ $BÎ) $Z» ¡ôÎ) ÈeÎ°qèÎr ç$f) wÎ) tÝ‰ÇÈ? ÞÚ& 7ŠÔ‘ ÓÓ‰r ﴾ $VÝÈÝ2 ÞÚ‰ $JÐ@èr $Jèöf? ÞÚr &É$JÇ@à? ÝÙ $JèÝÏ ÞÚ $JèÞn&Ž9Å6 ﴾[١].

قال الفراء : « وقوله : "إما يبلغانِّ عندك الكبر" فإنه ثنى ؛ لأن الوالدين قد ذكرا قبله ، فصار الفعل على عددهما ... وقد قرأها ناسٌ كثير[٢] :"إمَّا يبلُغَنَّ عندك الكبر" جعلتَ "يبلُغَنَّ" فعلاً لـــ"أحدهما" ، [فكرَرْت][٣] عليه "كلاهما" »[٤].

قراءة أكثر السبعة "يبلُغَنَّ" بالإفراد وجْهها عند الفراء أنّ "أحدهما" فاعل لـــ"يبلُغَنَّ" ، و"كلاهما" معطوف على "أحدهما" .

وهذه القراءة واضحة لا إشكال فيها ؛ لذا وافق الفراءَ فيما ذكره جميع مـــن وجّـــه

---

(١) الإسراء : آية ٢٣.

(٢) قرأ حمزة والكسائي "يبلغانِّ" بالتثنية ، وقرأ باقي السبعة "يبلُغنَّ" بالإفراد.

السبعة ٣٧٩، والتيسير ١٣٩، والإقناع ٦٨٥/٢، والنشر ٣٠٦/٢.

(٣) في المطبوع : "فكرّرت ب فكرت" أثبت المحقق ما في نسخة (ب) وهو "فكرّرت" ، وما في نسخة (أ) و(ش) وهـــو "فكرت" . أمّا "فكرت" فيبدو لي أنّه تحريف . وأمّا "فكرّرت" فضبط المحقق لها بتشديد الراء لا وجه له ؛ لأن الفعل لو كان مشدّدًا لكان متعديًا بنفسه ، وكان بمعنى : أعاد الشيء مرة بعد مرة ، ومنه مصطلح "التكرير" عنـــد الفـــراء الذي يريد به البدل والتوكيد اللفظي ، وفي كلٍّ منهما معنى الإعادة ، والفراء لا يريد ذلك هنا ألبتة.

والصحيح ما أثبته ، وهو "فكرَرْت" دون تشديد ، ويكون الفعل بمعنى "عطفت" ؛ لأنه عدّاه بـــ"على" ، و"كرّ" إذا كان متعديًا بـــ"على" كان بمعنى "عطف" ، وإذا كان متعديًا بـــ"عن" كان بمعنى "رجع".

القاموس "كرّ" ٤٦٩، وتاج العروس ٥١٩/٣.

(٤) معاني القرآن ١٢٠/٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القراءة كالطبري[١] والزجاج[٢] والنحاس[٣] والفارسي[٤] وغيرهم[٥].

(١) جامع البيان ١٥/٦٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٣٤.

(٣) إعراب القرآن ٢/٤٢٠.

(٤) الحجة ٥/٩٦.

(٥) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : علل القراءات ١/٣٢٠، وإعراب القراءات السبع ١/٣٦٩، وحجة القراءات ٣٩٩، والكشف ٢/٤٤، وشرح الهداية ٢/٣٨٥، والتبيان في تفسير القرآن ٦/٤٦٤-٤٦٥، والكشاف ٢/٤٤٤، والمحرر ١٠/٢٧٨، وكشف المشكلات ٢/٧٠٨، والموضح ٢/٧٥٣، وزاد المسير ٥/٢٣، والفريد ٣/٢٦٧، والبحر ٦/٢٦، والدر ٧/٣٣٨.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣٤ـ حذف فعل الفاعل

قال تعالى : ﴿ ... ﴾[١].

قال الفراء: « وكان بعضهم يقرأ[٢]: "وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادِهم"، فيرفع القتل إذا[٣] لم يسمِّ فاعله ، ويرفع الشركاء بفعل ينويه ، كأنه قال : "زيَّنه لهم شركاؤهم " ، ومثله قوله :﴿ يُسبَّح له فيها بالغدو والآصال ﴾[٤] ، ثم قال : ﴿ رجالٌ لا تلهيهم تجارة[٥] ﴾ »[٦].

قرأ أبو عبد الرحمن السلمي : « وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادِهم شركاؤهم » ببناء "زَيَّن" للمفعول ، ورفع "قتل" مضافًا إلى مفعوله ، ورفع "شركاؤهم" ، أمّا

---

(١) الأنعام : آية ١٣٧. ومثل هذه الآية في التوجيه عند الفراء : قوله تعالى : ﴿ ... ﴾ [النور : آية ٣٦-٣٧] في قراءة من قرأ : "يسبَّح" بالبناء للمفعول ، فـ"رجال" فاعل لفعل محذوف . وقوله تعالى : ﴿ ... ﴾ [الشورى : آية ٣] في قراءة من قرأ : "يُوحى" بالبناء للمفعول ، فلفظ الجلالة فاعل لفعل محذوف . وهي في معاني القرآن على الترتيب : ٢/٢٥٣، ٣/٢١.

(٢) قراءة بناء "زين" للمفعول ، ورفع "قتل" و"شركاؤهم" ، وجر "أولادهم" نسبها الفراء إلى أبي عبد الرحمن السلمي في : معاني القرآن ٣/٢١، ٢٥٣. ونسبت إليه وإلى علي بن أبي طالب t والحسن في :

شواذ ابن خالويه ٤٦، والمحتسب ١/٢٢٩، وشواذ القراءات ١٧٨.

(٣) كذا في المطبوع ، والظاهر أنّ الصواب "إذ".

(٤) النور : من الآية ٣٦. والقراءة التي يريدها الفراء هي قراءة ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر ببناء "يُسبَّح" للمفعول ، وقراءة باقي السبعة ببناء الفعل للفاعل.

السبعة ٤٥٦، والتيسير ١٦٢، والإقناع ٢/٧١٣.

(٥) النور : من الآية ٣٧.

(٦) معاني القرآن ١/٣٥٧، والقراءة أيضًا في : ٢/٨١-٨٢، ٣/٢١، ٢٥٣.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

"قتلُ" فلا خلاف في أنه مرتفع بـــ"زُيِّن" نائبًا عن الفاعل . وأما رفع "شركاؤهم" فللنحويين فيه توجيهات عدة إليك بيانها :

توجيه الفراء :

أن يكون "شركاؤهم" فاعلاً لفعل محذوف ؛ أي:" زينه شركاؤهم" ، وكأن "زينه شركاؤهم" جواب لسؤال مقدر يرد في الذهن بعد قوله :" وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادِهم" ، فكأنه قيل : من زيّنه؟ فقيل : شركاؤهم[١].

وهذا التوجيه اقتصر عليه سيبويه[٢] والمبرد[٣] وابن السراج[٤] والنحاس[٥] والزجاجي[٦] والسيرافي[٧] والفارسي[٨] وغيرهم[٩].

واختاره ابن جني[١٠] وابن عطية[١١] وابن عصفور[١٢] ، وجوّزه أبو حيان[١٣]

---

(١) إعراب القرآن المنسوب لقوام السنة ١٢٦.

(٢) الكتاب ١/٢٩٠.

(٣) المقتضب ٣/٢٨١.

(٤) الأصول ٣/٤٧٣.

(٥) إعراب القرآن ٢/٩٨.

(٦) الجمل ٢٠٦.

(٧) ما يحتمل الشعر من الضرورة ٢٥١-٢٥٢.

(٨) التعليقة ١/١٨٣، والحجة ٣/٤١٣-٤١٤، والشعر ٢/٤٩٩.

(٩) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : مشكل إعراب القرآن : ١/٢٧١-٢٧٢، وإعراب القرآن المنسوب لقوام السنة ١٢٦، ومجمع البيان ٢/٥٧٢، وزاد المسير ٣/١٣٠، وكشف المشكل ٢/٩٧، وإيضاح شواهد الإيضاح ١/١١٠، وشرح المفصل لابن يعيش ١/٨١، والفريد ٢/٢٣٤، وإبراز المعاني ٤٦١، والجامع ٧/٩٢، والتهذيب الوسيط ٣٩٨، وأنوار التنزيل ٤/١٥٢ ومغني اللبيب ٨٠٧.

(١٠) المحتسب ١/٢٢٩.

(١١) المحرر ٦/١٥٧-١٥٨.

(١٢) شرح جمل الزجاجي ٢/١٨٦.

(١٣) البحر ٤/٢٢٩.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والسمين[١].

واستدل الفراء لحذف فعل الفاعل في هذه القراءة بحذفه في قراءة من قرأ : « يُسبَّح له فيها بالغدو والآصال رجال » ؛ أي : " يُسبِّح له رجال " . كما استدل بعض من حمل القراءة على هذا التوجيه بحذف فعل الفاعل في قول الشاعر[٢] :

ليُبــــك يزيــــدُ ضــــارعٌ لخصــــومة ومختــــبطٌ ممــــا تطــــيح الطــــوائحُ

فـــ"ضارعٌ" فاعل لفعل محذوف ؛ أي :"يبكيه ضارعٌ".

وذكر المبرد[٣] وابن السراج[٤] وغيرهما[٥] أنّ علة حذف فعل الفاعل في آية الأنعام وما يماثلها من قراءات وشواهد شعرية حملُ الكلام على المعنى ، يقول المبرد: « لما قــال : "قَتْــلُ أولادهم " تم الكلام ، فقال :"شركاؤهم" على المعنى ؛ لأنه علم أنّ لهذا التــزيين مُزينًــا ، فالمعنى :"زيَّنه شركاؤهم"»[٦].

---

(١) الدر ٥/١٧٧.

(٢) من الطويل ، اختلف العلماء في نسبته ، فنسب إلى الحارث بن نهيك في : الكتاب ١/٢٨٨، والإيضاح ٧٤، وشرح المفصل لابن يعيش ١/٨٠، والتصريح ١/٢٧٤. ونسب إلى نهشل بن حَــرَّيّ في : مجــاز القــرآن ١/٣٤٨-٣٤٩، والتنبيهات ١٣٢، وإلى ضرار بن نهشل في : معاهد التنصيص ١/٢٠٢، وإلى الحارث بن ضرار في : شــرح أبيــات سيبويه ١/١١٠، وإلى مُزرِّد أخي الشماخ في : إيضاح شواهد الإيضاح ١/١٠٩، وإلى لبيد بن ربيعــة في : ملحــق ديوانه ٣٦٢.

والبيت غير منسوب في : الشعر والشعراء ٩٩، والمقتضب ٣/٢٨٢، والأصــول ٢/٣٢٧، والخصــائص ٢/٣٥٥، ٤٢٦، والمحتسب ١/٢٣٠، ومغني اللبيب ٦٢٠، وهمع الهوامع ١/١٦٠.

والضارع : الذليل الخاشع ، والمختبط : الرجل يسألك في غير معرفة كانت بينكما ، وتطيح : تُذْهِب وتهلك.

الصحاح "ضرع" ٣/١٢٤٩، واللسان ٨/٢٢١، والصحاح "خبط" ٣/١١٢١، و"طوح" ١/٣٨٩.

(٣) المقتضب ٣/٢٨١.

(٤) الأصول ٣/٤٧٣.

(٥) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : الجمل ٢٠٦، والمحتسب ١/٢٢٩-٢٣٠، ومشكل إعراب القــرآن ١/٢٧١-٢٧٢.

(٦) المقتضب ٣/٢٨١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التوجيه الثاني :

أن يكون "شركاؤهم" مرتفعًا على الفاعلية بالمصدر ، والتقدير:"زُيِّن للمشـــركين أنْ قتل شركاؤهم أولادهم"، والقراءة على هذا التوجيه تشبه قولهم : "حُبِّب إليّ ركوبُ الفرس زيدٌ" ؛ أي : "أنْ ركبَ الفرسَ زيدٌ"[١].

وهذا التوجيه لقطرب[٢] ، وجوّزه العكبري[٣] وأبو حيان[٤] والسمين[٥].

وقد ضعّفه المعربون من وجهين :

١ــ أنّ هذا التوجيه يكون القاتل فيه هم الشركاء ، والمزيَّن لهم هم الآباء المشركون[٦] ، وهذا فيه مخالفة لما عليه جمهور المفسرين من أن المزيِّن هم الشركاء ، والقاتل هم الآباء المشركون[٧] ، ويؤيده قراءة جمهور السبعة[٨] : « وكذلك زَيَّن لكثير من المشركين قتلَ أولادِهم شركاؤهم » . ووقوع القتل من الشركاء مع مخالفته للمعنى كما سبق فيه نظر من جهة أخرى ، هي أنّ المعتاد أن يُزيَّن للإنسان فعل نفسه لا فعل غيره[٩] كما قال تعالى : ﴿ Jù& `

---

(١) المحتسب ١/٢٣٠، والمحرر ٦/١٥٧.

(٢) المحتسب ١/٢٣٠، والمحرر ٦/١٥٧، والبحر ٤/٢٢٩، والدر٥/١٧٧.

(٣) التبيان ١/٥٤١، وإعراب القراءات الشواذ ١/٥١٤.

(٤) البحر ٤/٢٢٩.

(٥) الدر ٥/١٧٧.

(٦) المحتسب ١/٢٣٠، والمحرر ٦/١٥٧، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/١٨٦.

(٧) المحرر ٦/١٥٧.

(٨) قرأ السبعة غير ابن عامر ببناء "زَيَّن" للفاعل، ونصب "قتلَ"، وجر "أولادِهم"، ورفع "شركاؤهم" ، وقرأ ابن عـــامر ببناء "زين" للمفعول، ورفع "قتلُ"، ونصب "أولادَهم"، وجر "شركاؤهم".

السبعة ٢٧٩، والتيسير ١٠٧، والنشر ٢/٢٦٣.

(٩) الدر ٥/١٧٧-١٧٨.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

﴿ $Y¡ m ç#ä•ù ¾ï#å âþ³ ¼ç9 ûïÍ ﴾[١].

وذهب بعضهم إلى أنّ نسبة القتل إليهم على سبيل المجاز ؛ لأنهم زينوا القتل وتسببوا فيه[٢] ، وهذا عندي ضعيف ؛ فالمتقرر أنّ القرآن متى أمكن حمله على الحقيقة لم يعدل إلى غيرها.

٢ــ أنّ المصدر إذا أضيف إلى مفعوله فمن القليل أن يُذكَر فاعله[٣].

التوجيه الثالث :

أن يكون "شركاؤهم" مبتدأ ، والخبر محذوف ، والتقدير : "شركاؤهم زينوه لهم".

وهذا التوجيه ذكره الخوارزمي (ت٦١٧هـ) واختاره ، واستدل له بأنّ "شركاؤهم" جواب لسؤال تقديره : "من زيّنه؟" فحق "شركاؤهم" أن يكون مبتدأ لا فاعلاً لفعل مضمر ؛ لأنّ السؤال عن الفاعل لا عن الفعل ، والجواب يطابق السؤال ، فوجب أن يكون بالفاعل ، ولا يحصل ذلك إلا إذا تقدم الاسم[٤].

وما ذكره الخوارزمي من حيث القياس صحيح ، وله ما يقويه من جهة أخرى ، وهي أنّه « إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلاً والباقي فاعلاً ، وكونه مبتدأ والباقي خبرًا فالثاني أولى ؛ لأنّ المبتدأ عين الخبر ، فالمحذوف عين الثابت ، فيكون الحذف كلا حذف ، فأمّا الفعل فإنه غير الفاعل»[٥] . لكنّ حمل القراءة على ما ذكره ضعيف ؛ لأنّ " شركاؤهم" قد ثبتت فاعليته في قراءة جمهور السبعة ببناء "زَيَّن" للفاعل[٦]. ثم إنّ تخلف المطابقة التي ذكرها

---

(١) فاطر : من الآية ٨.

(٢) البحر ٤/٢٢٩، والدر ٥/١٧٧.

(٣) المحرر ٦/١٥٧، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/١٨٦.

(٤) التخمير ١/٢٤٥، ٢٤٧.

(٥) مغني اللبيب ٨٠٦.

(٦) مغني اللبيب ٨٠٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الخوارزمي هي الأكثر في الاستعمال ، يقول ابن مالك : « فإنْ كانت جملة الاستفهام مؤخرًا فيها الفعل فحق المجاب به من جهة القياس أن يؤخر فيه الفعل لتتشاكل الجملتان ، هذا مقتضى النظر لولا أنّ الاستعمال جاء بخلافه ، وذلك أنّ جواب الاستفهام المقدم فيه الاسم لا يجيء مكملاً إلا والفعل فيه مقدم على الاسم كقوله تعالى : ﴿ ,={ ôB OG‹Ø™ ûÈr ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ #E$B 7 Rqèq„ ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ aM»6ÍÖ9$aa9 @ïmé@é ùt; @ïmé ﴾ [٢] »[٣].

وعلى ذلك فالأولى إذا اقتصر في الجواب على الاسم أن يقدر الفعل متقدمًا ؛ لأنه جاء مقدمًا في الجواب المكمل ، والجواب المكمل هو الأصل.

وقد ذكر ابن مالك أنّ لما جرى به الاستعمال من تقديم الفعل في مثل ما سبق مع فوات المطابقة وجه من النظر ، وهو أنّ حق الجملة الاستفهامية إذا كان فيها فعل أنْ يقدم ؛ لأنه بمباشرة الاستفهام أولى من الاسم ، فلمّا لم يمكن ذلك في مثل : من فعل؟ لاتحاد المستفهم به والمستفهم عنه جيء بالجواب مقدمًا فيه الفعل تنبيهًا على أنّ الأصل في السؤال أن يكون كذلك [٤].

هذا ما قيل في توجيه القراءة ، والراجح عندي هو توجيه الفراء ومن تابعه ؛ لتوافر شروط حذف الفعل ؛ فقد دلّ على الحذف دليل ، وأُمن التباس الفاعل بنائبه[٥] ، والقراءة عليه توافق قراءة جمهور السبعة ببناء "زيّن" للفاعل ، وإذا كان "شركاؤهم" جوابًا لسؤال تقديره :"من زينه"؟ ففي جعله على هذا التوجيه موافقة لما جرى به الاستعمال عند العرب في مثله.

---

(١) الزخرف : آية ٩.

(٢) المائدة : من الآية ٤.

(٣) شرح التسهيل ٢/١٢٠.

(٤) شرح التسهيل ٢/١٢١.

(٥) ينظر شروط حذفه في : ارتشاف الضرب ٣/١٣٢٢-١٣٢٤.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣٥ ـ تأنيث الفعل المفصول عن مرفوعه المؤنث بـ(إلا)

قال تعالى : ﴿ ... ﴾ (١).

قال الفراء : « وقرأ الحسن(٢) : " فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنُهم" ، وفيه قبح في العربية ؛ لأنّ العرب إذا جعلت فعل المؤنث قبل "إلا" ذكّروه ، فقالوا :"لم يقم إلا جاريتك" و"ما قام إلا جاريتك" ، ولا يكادون يقولون : "ما قامت إلا جاريتك" ؛ وذلك أنّ المتروك "أحدٌ" ، فـ"أحد" إذا كانت لمؤنث أو مذكر ففعلهما مذكر ؛ ألا ترى أنّك تقول : "إنْ قام أحد منهن فاضربه" ، ولا تقل :"إنْ قامت" إلا مستكرهًا ، وهو على ذلك جائز ، قال : أنشدني المفضل(٣) :

ونارُنا لم تُر نارًا مثلُها ... قد علمت ذاك معدّ أكرما

فأنث فعل "مثل" ؛ لأنّه للنار ، وأجود الكلام أن تقول : "ما رُئي إلا مثلها"»(٤).

وردت قراءة الحسن : « فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم » بتأنيث الفعل المفصول عن مرفوعه نائب الفاعل بـ"إلا" ، وقد وقف النحويون مواقف مختلفة في تعليل هذا التأنيث ، إليك بيانها :

توجيه الفراء :

وصف الفراء تأنيث الفعل "تُرى" في القراءة بأنّه قبيح في العربية ؛ لأنّ العرب تُذكّر

---

(١) الأحقاف : آية ٢٥.

(٢) قراءة : « لا تُرى إلا مساكنهم » بالتاء المضمومة ورفع "مساكنهم" قرأ بها الحسن والأعمش والجحدري وجماعة آخرون.

إعراب القرآن للنحاس ٤/١٧٠، والمبسوط ٤٠٦-٤٠٧، والمحتسب ٢/٢٦٥، وشواذ القراءات ٤٣٦.

(٣) من الرجز لم أقف على قائله ، وهو في جامع البيان ٢٦/٢٧.

(٤) معاني القرآن ٣/٥٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفعل الذي حصر مرفوعه المؤنث بـ"إلا" ، وعلة ذلك أنّ الأصل في مثل : "ما قام إلا جاريتك" : " ما قام أحدٌ إلا جاريتك" ، و"أحد" مما يُذكَّر له الفعل.

ومع قبح التأنيث عند الفراء فهو يجيزه ، ويبدو لي أنّ علة التأنيث عنده هو أنّ المحذوف قبل "إلا" سواء كان "شيء" في الآية أو "أحد" في مثاله السابق مذكّر لفظًا مؤنث معنى ؛ لكون المراد به "المساكن" في الآية ، و"الجارية" في المثال.

والذي يدل على أنّ الفراء يريد هذا استدلاله بقول الشاعر :

ونارُنا لم تر نارًا مثلُها قد علمت ذاك معدّ أكرما

ووجه استدلاله أنّ "مثل" كـ"أحد" و"شيء" في كونها للمذكر والمؤنث بلفظ واحد هو التذكير[١] ، ومع ذلك جاء فعلها مؤنثًا في البيت ؛ لكونها في المعنى لمؤنث ، وهو النار.

وقد تابع الطبري الفراء فيما ذهب إليه[٢].

التوجيه الثاني :

ما ذهب إليه الزجاج[٣] والزمخشري[٤] والرازي[٥] من تقدير كلمة قبل "إلا" يصح تأنيث الفعل معها ، فجعل الزجاج التقدير :"لا تُرى أشخاص إلا مساكنهم" ، وجعله الزمخشري والرازي : "لا تُرى بقايا ولا أشياء منهم إلا مساكنهم".

التوجيه الثالث :

أنّ تأنيث الفعل جاء على معاملة الظاهر بعد "إلا" ؛ إذ "المساكن" مما يجوز تأنيث الفعل معها.

---

(١) تنظر "مثل" في : المذكر والمؤنث للفراء ٦٢، ولأبي حاتم السجستاني ٨٨-٨٩، ولابن الأنباري ٢/٢٩٠، ولابن التستري ١٠٣، ولابن جني ٩٢.

(٢) جامع البيان ٢٦/٢٧.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/٤٤٦. ولم ينص على أنها قراءة.

(٤) الكشاف ٣/٥٢٤.

(٥) التفسير الكبير ٢٨/٢٨.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وإلى هذا ذهب ابن جني[١] والمنتجب[٢] والقرطبي[٣] وابن هشام[٤].

أمّا ابن عطية[٥] والعكبري[٦] وابن مالك[٧] وجماعة من النحويين[٨] ، فأشاروا إلى جواز تأنيث الفعل في القراءة ، و لم يوردوا شيئًا من التعليلات السابقة.

وتأنيث الفعل المفصول عن مرفوعه المؤنث بـ"إلا" مسألة اختلف النحويون في جوازها، فنسب إلى أكثر النحويين منع ذلك إلا في ضرورة الشعر[٩] كما في قول الشاعر[١٠]:

كأنّها جَمَلٌ وَهْمٌ وما بقيت إلا النَّحيزةُ والألواح والعَصَبُ

وممن نسب إليه ذلك سيبويه[١١] والأخفش[١٢] وأبو حاتم[١٣].

---

(١) المحتسب ٢/٢٦٦.

(٢) الفريد ٤/٢٩٩.

(٣) الجامع ١٦/٢٠٧.

(٤) شرح شذور الذهب ١٦٩.

(٥) المحرر ١٥/٣٤-٣٥.

(٦) التبيان ٢/١١٥٨.

(٧) شرح التسهيل ٢/١١٤.

(٨) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : شرح المفصل لابن يعيش ٢/٨٦-٨٧، وتوضيح المقاصد والمسالك ٢/٥٨٩، وإرشاد السالك ١/٣٠٦، والمساعد ١/٣٩٠-٣٩١.

(٩) البحر ٧/٣٣٢، ونسب إلى الجمهور في : الدر٩/٦٧٥، وشرح الأشموني ٢/٤٩.

(١٠) من البسيط ، لذي الرُّمة يصف به ناقته ، في : ديوانه ١/٤٤، وتهذيب اللغة "وهم"٦/٤٦٥، والصحاح ٥/٢٠٥٤.

والبيت غير منسوب في : الحجة للفارسي ٤/٣٧٠، ٦/١٨٧، والدر ٦/١٤٢.

الجمل الوَهم : الضخم الذلول. النحيزة : الطبيعة . الألواح : العظام.

(١١) تذكرة النحاة ١١٣.

(١٢) الحجة للفارسي ٦/١٨٧، وارتشاف الضرب ٢/٧٣٤، وأوضح المسالك ٢/١١٣، وإرشاد السالك١/٣٠٦.

(١٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وحجتهم في ذلك أنّ الكلام في نحو : "ما قام إلا هند" محمول على المعنى ؛ إذ معناه : "ما قام أحد إلا هند"(١).

وقد سبق أنّ أبا حاتم وكثيرًا من النحويين أنكروا قراءة أبي جعفر(٢) : « إنْ كانت إلا صيحةٌ » لهذه العلة(٣).

وذهب جماعة من النحويين إلى جواز التأنيث في النثر ، دليلهم قراءة الحسن : « لا تُرى إلا مساكنهم » وقراءة أبي جعفر : « إنْ كانت إلا صيحةٌ واحدةٌ »، ولهم في تعليل التأنيث مذاهب مختلفة ظهرت في توجيه قراءة الحسن ، وكلهم وصف هذا التأنيث بالقبح(٤) أو الضعف(٥) أو القلة(٦) إلا الزجاج(٧) والنحاس ؛ فإنهما أطلقا القول بجواز التأنيث ، ومردّ ذلك أنهما يقدّران قبل "إلا" ما يصح تأنيث الفعل معه ، يقول النحاس في ردّه على أبي حاتم حين أنكر قراءة أبي جعفر : « إنْ كانت إلا صيحةٌ واحدةٌ » ، وأنكر أن يقال : "ما جاءتني إلا جاريتك":« لا يمتنع من هذا شيء ، يقال :"ما جاءتني إلا جاريتك" ، بمعنى : "ما جاءتني امرأة أو جارية"»(٨).

والراجح فيما أراه هو مذهب من أجازه في النثر على قلة ؛ لورود السماع بذلك في القرآن ، وإمكان تقدير ما قبل "إلا" مما يصلح تأنيث الفعل معه.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٠، والحجة للفارسي ٦/١٨٦-١٨٧، والمحتسب ٢/٢٠٦-٢٠٧، ٢٦٦.

(٢) يس : آية ٢٩. والقراءة سبق تخريجها في : ص١١١.

(٣) ينظر : ص١١٢.

(٤) معاني القرآن ٣/٥٥، وجامع البيان ٢٦/٢٧، والمحرر ١٥/٣٥.

(٥) المحتسب ٢/٢٠٦، ٢٦٦، والتبيان ٢/١١٥٨، وإعراب القراءات الشواذ ٢/٣٦٠، وشرح التسهيل ٢/١١٤، والمساعد ١/٣٩١.

(٦) الجامع ١٦/٢٠٧، وتوضيح المقاصد والمسالك ٢/٥٨٩.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/٤٤٦.

(٨) إعراب القرآن ٣/٣٩٠-٣٩١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣٦ـ تذكير الفعل وتأنيثه مع جمع التكسير

قال تعالى : ﴿ ...ó‹Ï 8ìÅ;ã@$b& É=•óÜ‘Ï ’ÌÁãÑ$% qèr è3Í=J‘Ïm2Ž$Yù ﴾ ﴿ ûüÅÎ»Á9$` Ï $ÏRr #YqÁmr #‰ÍŸr «! $` Ï 7JÎ3Ï $ÏÁã ﴾ [١].

قال الفراء : « وقوله :"فنادته الملائكة" يقرأ بالتذكير والتأنيث[٢] ، وكذلك فعل الملائكة وما أشبههم من الجمع يؤنث ويذكر.

وقرأت القراء : "يعرج الملائكة" و"تعرج" [٣]،"و"تتوفاهم" و"يتوفاهم الملائكة"[٤]، وكلٌّ صواب ؛ فمن ذكَّر ذهب إلى معنى التذكير ، ومن أنّث فلتأنيث الاسم ، وأن الجماعة من الرجال والنساء وغيرهم يقع عليه التأنيث»[٥] .

جمع التكسير من قبيل المؤنث المجازي الذي يجوز في فاعله إذا كان ظاهرًا التذكير والتأنيث.

---

(١) آل عمران : آية ٣٩. ومثل هذه الآية مما قُرئ فيه بالتذكير والتأنيث لكون الفاعل جمعًا قوله تعالى : ﴿ @d ﴾ [الرعد : من الآية ١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ ﴾ [النحل : من الآية ٢٨] ، ومثلها قوله تعالى : ﴿ ﴾ [النحل : من الآية ٣٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ﴾ [النور : آية ٢٤] ، وقوله تعالى : ﴿ ﴾ [المعارج : آية ٤] . وهي في معاني القرآن على الترتيب : ٢/٦١، ١/٢١٠، ٢/٢٤٨، ١/٢١٠.

(٢) قرأ حمزة والكسائي : "فناداه" بالتذكير ، وقرأ باقي السبعة : "فنادته" بتاء التأنيث.
السبعة ٢٠٥، والتيسير ٨٧، والنشر ٢/٢٣٩.

(٣) المعارج : من الآية ٤. قرأ الكسائي بالياء ، وقرأ الباقون بالتاء.
السبعة ٦٥٠ ، والتيسير ٢١٤، والإقناع ٢/٧٩٢، والنشر ٢/٣٩٠.

(٤) النحل : من الآية ٢٨ ، ٣٢ . قرأ حمزة بالياء في الآيتين ، وقرأ الباقون بالتاء.
السبعة ٣٧٢، والتيسير ١٣٧، والنشر ٢/٣٠٣.

(٥) معاني القرآن ١/٢١٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومن جموع التكسير "الملائكة" ؛ لذا قرأت القراء بتذكير فعلها وتأنيثه في آيات عدة ، منها قوله تعالى : « فنادته الملائكة » . أما قراءة التذكير فوجّهها الفراء بقوله : « فمن ذكّــر ذهب إلى معنى التذكير » ، وقوله هذا يحتمل أمورًا :

١ـــ أن يكون المراد بالملائكة في الآية جبريل عليه السلام ، فيكون معنى التذكير على هذا.

٢ـــ أن يكون مراده بـــ"معنى التذكير" النظر إلى مفرد "ملائكة" ، وهو ملك ؛ فإنه مذكر ، وقد ذهب الفراء إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ tPöqƒ ? ‰k¶ Åã\`lÎ ﴾ bqè=Jè÷ètƒ (#qçR%. $JÎ NßgèE`r #ö‘r NÍkÉ‰ƒr NßgçFÅ¡ ﴾[1] ؛ إذ ذهب إلى أن من قرأ[2]: "تشهد" بالتاء فلأجل تأنيث الألسنة ، ومن قرأ :"يشهد" بالياء فلتذكير اللسان ؛ لأن الفعل إذا تقدم وكان فاعله جمعًا كان كأنه لواحد منه[3].

٣ـــأن يكون مراده بـــ"معنى التذكير" النظر إلى معنى الجمع في الملائكة .

والاحتمال الأول أقرب إلى مراد الفراء ؛ لجزمه بأن المراد بالملائكة في الآية جبريـــل عليه السلام[4].

والمعربون بعد الفراء اختلفوا في وجه تذكير الفعل بناء علـــى اخـــتلافهم في المـــراد بالملائكة في الآية ، ولهم في ذلك قولان :

---

(١) النور : آية ٢٤.

(٢) قرأ حمزة والكسائي : "يشهد" بالياء ، وقرأ باقي السبعة : "تشهد" بالتاء.

السبعة ٤٥٤، والتيسير ١٦١، والعنوان ١٣٨.

(٣) معاني القرآن ٢/٢٤٨.

(٤) معاني القرآن ١/٢١٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الأول : أنّ المراد بالملائكة جبريل ـــ عليه السلام ـــ وحده ، وهذا القول نسب إلى جمهور المفسرين[١] ، وممن أخذ به من النحويين وجعل تذكير الفعل لأجل هذا المعنى ابن خالويه[٢] وأبو زرعة[٣] والزمخشري[٤] ، وجوزه الطبري[٥] والمهدوي[٦] والطوسي[٧] والمنتجب[٨].

واستدل هؤلاء لما ذهبوا إليه بأمرين :

١ـــ ما ذكره الفراء وجماعة من جواز إطلاق الجمع مرادًا به الواحد ، فيقال : "خرج فلان في السفن" ، وإنّما خرج في سفينة واحدة ، وكأنْ يقال : "ممن سمعت هذا الخبر"؟ ، فيقول :"من الناس" ، وإنّما سمعه من رجل واحد[٩].

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ôÏ âß±„ `B 4?ã ¾íÌÞ& ôÏ Çr•9$# p3í¨=J9$#âí\ã ﴾ ﴿ Ëqà?$# ÉR& wÎ) m»9Î w ¼çR& ÿ¼ã ÉR& Þ& ¾íÌ$6Ï ﴾ [١٠]، والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام[١١] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ¨ $Z9$bÎ ã¨ $Z9$ßg9 A$% ûïÏ%©# ﴾

---

(١) المحرر ٣/٧١، والبحر ٢/٤٤٦.

(٢) إعراب القراءات السبع ١/١١٢.

(٣) حجة القراءات ١٦٢.

(٤) الكشاف ١/٤٢٨.

(٥) جامع البيان ٣/٢٤٩-٢٥٠.

(٦) شرح الهداية ١/٢١٨.

(٧) التبيان في تفسير القرآن ٢/٤٥٠-٤٥١.

(٨) الفريد ١/٥٦٧.

(٩) معاني القرآن ١/٢١٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١/٤٠٥، ومعالم التنزيل ٢/٣٣، والكشاف ١/٤٢٨ ، والفريد ١/٥٦٧.

(١٠) النحل : آية ٢.

(١١) معالم التنزيل ٢/٣٣.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

﴿ @‹Å2 qøNèïr ª! $ZÇó m ¨qø%r $Z/Jƒ ïNèŠ#“ù ïNèö±z$ïN3ù ¨qèK_ ﴾[١]،

والمراد بالناس نعيم بن مسعود t [٢].

ورُدّ هذا الاستدلال بأنّ جواز هذا الأسلوب مشروط بكون الواحد غير معين، وذلك غير متحقق هنا[٣].

ومن العجيب أنّ الفراء اشترط هذا الشرط ، مع أنّه جعل المراد بالملائكة جبريل عليه السلام[٤].

٢ـ قراءة عبد الله بن مسعود t [٥]: « فناداه جبريل وهو قائم »[٦] ، وعلى هذا القول يكون التعبير بـ"الملائكة" مجاز عن الواحد للتعظيم ؛ لأن الرئيس يخبر عنه إخبار الجمع ؛ لاجتماع أصحابه معه ، أو لاجتماع الصفات الجميلة فيه المتفرقة في غيره[٧] ، أو أنّ ذلك من إسناد فعل بعض الجنس إلى كله[٨].

الثاني : أن المراد بالملائكة الجماعة منهم ، وهذا القول نسب إلى جماعة من السلف[٩]، واختاره الطبري[١٠] وأبو حيان[١١] ، وممن أخذ به من النحويين فجعل تذكير فعل "الملائكة"

---

(١) آل عمران : آية ١٧٣.

(٢) البحر ٢/٤٤٦.

(٣) روح المعاني ٢/١٤٠.

(٤) معاني القرآن ١/٢١٠.

(٥) القراءة في : المصاحف ٧٠ ، لكنَّها بالواو " وناداه" ، وشواذ ابن خالويه ٢٧، وشواذ القراءات ١١١.

(٦) جامع البيان ٣/٢٤٩ ، والمحرر ٣/٧١ ، والبحر ٢/٤٤٦ ، والدر ٣/١٥١.

(٧) معالم التنزيل ٢/٣٣، والبحر ٢/٤٤٦، والدر ٣/١٥١، وروح المعاني ٢/١٤٠.

(٨) روح المعاني ٢/١٤٠.

(٩) كقتادة والربيع بن أنس ومجاهد وعكرمة . ينظر : جامع البيان ٣/٢٥٠.

(١٠) جامع البيان ٣/٢٥٠.

(١١) البحر ٢/٤٤٥-٤٤٦.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لتأولها بالجمع الزجاج[١] والنحاس[٢] والأزهري[٣] والفارسي[٤] وغيرهم[٥] ، وجوّزه المهدوي[٦] والطوسي[٧] والمنتجب[٨] .

واستدل هؤلاء لما ذهبوا إليه بأمرين :

١ــ أنّ فيه إبقاء للفظ "الملائكة" على ظاهره ، والقرآن متى أمكن حمله على الوجه الظاهر فهو أولى.

٢ــ أنّ نداء جماعة من الملائكة ليس بمستغرب ؛ فقد بعث الله ــ سبحانه وتعالى ــ ملائكة إلى لوط وإبراهيم ــ عليهما الصلاة والسلام ــ [٩].

أمّا قراءة أكثر السبعة بالتأنيث فهو عند الفراء من وجهين :

الأول : أنّ لفظ الملائكة مشتمل على علامة التأنيث.

الثاني : أنّ الجماعة من الرجال والنساء وغيرهم يجوز في فعلها التأنيث إذا تقدم عليها؛ لتأولها بالجماعة.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٠٥.

(٢) إعراب القرآن ١/٣٧٣.

(٣) علل القراءات ١/١١٤.

(٤) الحجة ٣/٣٧.

(٥) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : كشف المشكلات ١/٢٢٧، والموضح ١/٣٧٠، والبيان ١/٢٠٢، والتبيان ١/٢٥٦-٢٥٧.

(٦) شرح الهداية ١/٢١٨.

(٧) التبيان في تفسير القرآن ٢/٤٥٠.

(٨) الفريد ١/٥٦٧.

(٩) جامع البيان ٣/٢٥٠ ، والمحرر ٣/٧١، والبحر ٢/٤٤٥-٤٤٦.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وتبع الفراء في ذكر هذين الوجهين البغوي[١] والمنتجب[٢] ، واقتصر الطبري[٣] والطوسي[٤] على الوجه الأول ، واقتصر الزجاج[٥] والنحاس[٦] والفارسي[٧] وأكثر النحويين[٨] على الوجه الثاني.

ويبدو لي أنّ الوجهين اللذين ذكرهما الفراء مبنيان على المراد بالملائكة ؛ فمن ذهب إلى أنّ المراد جبريل ـ عليه السلام ـ ذهب إلى أنّ تأنيث الفعل لتأنيث لفظ الملائكة.

ومن ذهب إلى أنّ المراد الجماعة من الملائكة جعل التأنيث لإرادة معنى الجماعة.

والمترجح عندي أنّ المراد الجماعة من الملائكة ؛ لصحة ما استدل به أصحاب هذا القول ، وضعف أدلة من ذهب إلى أنّ المراد بالملائكة جبريل ـ عليه السلام ـ ؛ إذ لا يمكن جعل ذلك من إطلاق الجمع المراد به الواحد ؛ لأنّ من شرطه أن يكون الواحد غير معين ، واستدلالهم بقوله تعالى : « يترل الملائكة » على أنّ المراد بالملائكة جبريل عليه السلام وبقوله تعالى: « الذين قال لهم الناس » على أنّ المراد بالناس نعيم بن مسعود t غير مستقيم ؛ فأكثر المفسرين سكتوا عن بيان المراد بالملائكة مما يدل على أن اللفظ باقٍ على أصل دلالته ، بل إنّ بعضهم ذهب إلى أنّ المراد بالروح جبريل ـ عليه السلام ـ وهذا يقطع بأنّ المراد بالملائكة

---

(١) معالم التنزيل ٢/٣٣.

(٢) الفريد ١/٥٦٧.

(٣) جامع البيان ٣/٢٤٩.

(٤) التبيان في تفسير القرآن ٢/٤٥٠.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٠٥.

(٦) إعراب القرآن ١/٣٧٣.

(٧) الحجة ٣/٣٧.

(٨) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : علل القراءات ١/١١٤، والكشف ١/٣٤٢، وشرح الهداية ١/٢١٨، وكشف المشكلات ١/٢٢٧، والموضح ١/٣٧٠، والبيان ١/٢٠٢، والتبيان ١/٢٥٦، والجامع ٤/٧٤، والدر ٣/١٥٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الجماعة منهم[١].

وقولهم : إنّ المراد بالناس نعيم بن مسعود t هو من الأقوال التي قيلت في تفسير الآية، ومن المفسرين من جعل المراد بالناس أعرابي غير معين[٢] ، ومنهم من جعل المراد بالناس الجماعة والقوم[٣].

أمّا استدلالهم بقراءة عبد الله بن مسعود t فهي لا تنفي أن يكون مع جبريل ـــ عليه السلام ـــ ملائكة آخرون ، وإنّما خص بالذكر لفضله وتقدمه.

ومما يؤيد أنّ المراد بالملائكة الجماعة منهم أنّه لو كان المراد بالملائكة جبريل ـــ عليه السلام ـــ وحده لما صح تأنيث فعل الملائكة لأجل اللفظ ؛ لأن تأنيث اللفظ غير معتد به إذا كان المعنى على التذكير ؛ لذا يرى مكي أنْ لا وجه للتأنيث على أنّ المراد بالملائكة جبريل ـــ عليه السلام ـــ[٤] ، وإذا كان الأمر كذلك فالراجح في وجه تذكير فعل الملائكة هو ملاحظة معنى الجمع ، وفي وجه التأنيث ملاحظة معنى الجماعة.

واختار أبو عبيد قراءة التذكير ؛ لمخالفة المشركين في زعمهم أنّ الملائكة بنات الله ـــ تعالى وجل ـــ[٥] ، وروي عن عبد الله بن مسعود t أنه كان يذكر الملائكة في كل القرآن[٦].

وقد ردّ النحاس[٧] والفارسي[٨] ما ذهب إليه أبو عبيد ؛ لأنّ العرب تذكر وتؤنث

---

(١) الجامع ٦٧/١٠ ، وتكون الباء بمعنى "مع".

(٢) جامع البيان ١٨٠/٤، والنكت والعيون ٤٣٨/١، والجامع ٢٧٩/٤.

(٣) جامع البيان ١٧٨/٤.

(٤) الكشف ٣٤٢/١.

(٥) إعراب القرآن ٣٧٣/١، والكشف ٣٤٢/١، ومعالم التنزيل ٣٣/٢، والجامع ٧٤/٤.

(٦) إعراب القرآن ٣٧٣/١، ومعالم التنزيل ٣٣/٢، والجامع ٧٤/٤، وروح المعاني ١٤٠/٢.

(٧) إعراب القرآن ٣٧٣/١.

(٨) الحجة ٣٧/٣-٣٨.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فعل الرجال ونحوه من جموع التكسير ، فتقول : "قالت الرجال ، وقال الرجال"، ولو كان تذكير فعل الملائكة في الآية حجة عليهم لكان في تأنيثه في قوله تعالى : ﴿ ÏM9$% ßf ﴾ ﴿ p3í=J ﴾[1] حجة لهم .

(١) آل عمران : من الآية ٤٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣٧ ـ تذكير الفعل مع المصدر المؤنث

قال تعالى : ﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) .

قال الفراء : « وفي قراءة عبد الله(٢) : "وقد بدا البغضاء من أفواههم" ذكّر ؛ لأنّ البغضاء مصدر ، والمصدر إذا كان مؤنثًا جاز تذكير فعله إذا تقدم مثل : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾(٣)، ﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ ﴾(٤)، وأشباه ذلك»(٥).

للنحويين في قراءة عبد الله : « وقد بدا البغضاء » بتذكير الفعل توجيهان ، هما :

توجيه الفراء :

أنّ البغضاء مصدر مؤنث ، والمصدر المؤنث إذا تقدم فعله جاز أنْ يذكّر ؛ لأنّ تأنيثه مجازي ، ومن شواهد تذكير فعل المصدر المؤنث على ما ذكر الفراء قوله تعالى : « وأخذ الذين ظلموا الصيحة » ، وقوله تعالى : « قد جاءكم بينة من ربكم » ، والصيحة والبينة مصدران مؤنثان.

---

(١) آل عمران : آية ١١٨. ومثلها في التوجيه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [القلم : آية ٤٩] ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الحاقة : آية ١٨] ، وهي في معاني القرآن على الترتيب : ٣/١٧٨، ١٨١.

(٢) قراءة عبد الله بتذكير الفعل في : جامع البيان ٤/٦٤، والكشاف ١/٤٥٨، والمحرر ٣/٢٠٨، والجامع ٤/١٨١، والبحر ٣/٣٩، والدر ٣/٣٦٦، وروح المعاني ٢/٢٥٤.

(٣) هود : من الآية ٦٧.

(٤) الأنعام : من الآية ١٥٧.

(٥) معاني القرآن ١/٢٣١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وهذا التوجيه اقتصر عليه الطبري[١] ، وجوّزه أبو حيان[٢] والسمين[٣].

التوجيه الثاني :

أنّ الفعل ذُكِّر ؛ لأنّ البغضاء في معنى البغض ، وهذا القول لابن عطية[٤] ، واقتصر عليه القرطبي[٥] ، وجوّزه أبو حيان[٦] والسمين[٧].

والذي أراه راجحًا من التوجيهين الأول ، أمّا الثاني فأراه ضعيفًا متكلفًا ؛ لأنّ بين البغضاء والبغض فرقًا ، فالبغضاء شدة البغض[٨].

---

(١) جامع البيان ٤/٦٤.

(٢) البحر ٣/٣٩.

(٣) الدر ٣/٣٦٦.

(٤) المحرر ٣/٢٠٨.

(٥) الجامع ٤/١٨١.

(٦) البحر ٣/٣٩.

(٧) الدر ٣/٣٦٦.

(٨) تهذيب اللغة "بغض" ٨/١٧، والصحاح ٣/١٠٦٧، واللسان ٧/١٢١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣٨ـ تذكير الفعل وتأنيثه لاختلاف مرجع الضمير الواقع فاعلاً

قال تعالى : ﴿ Ï ž c © f • N$Ëq¨9‾%q Ô ÈÎÍ $$ê Ô ÈÎÍ ÏF$$ÍÉ ÈÎÍ 3Ïg@ï ï ’ Î ÇÍÈ Ë$qÇ ﴾ [١].

قال الفراء : « وقوله : "كالمهل يغلي" قرأها كثير من أصحاب عبد الله "تغلي" ، وقد ذُكرت عن عبد الله ، وقرأها أهل المدينة كذلك ، وقرأها الحسن : "يغلي"[٢] ، جعلها للطعام أو المهل ، ومن أنّثها ذهب إلى تأنيث الشجرة»[٣].

قرأ جمهور السبعة : « كالمهل تغلي » بالتاء ، وفاعل "تغلي" ضمير مستتر يعود إلى الشجرة المذكورة قبلاً في قوله : « إن شجرة الزقوم*طعام الأثيم » ، وإلى هذا ذهب الفراء والطبري[٤] والنحاس[٥] والفارسي[٦] وجميع من وقفت على كلامهم في القراءة من المعربين[٧].

(١) الدخان : الآيات ٤٣-٤٦، ومثلها في التوجيه قوله تعالى :﴿ $Ïd_ $ÏÛâÅ ø æ ÏÉ ¡ ê ÷ Z9$ÆÈ ø Å ø ﴾ ﴿ ü ha r ﴾ [مريم : آية ٢٥] قرئ "تساقط" بالياء والتاء ، وقوله تعالى :﴿ $Ï(. ﴾ [النور : من الآية ٣٥] قرئ :"يوقد" بالياء والتاء . وهي في معاني القرآن على الترتيب : ٢/١٦٦، ٢٥٢.

(٢) قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم : "يغلي" بالياء ، وقرأ باقي السبعة ومنهم عاصم في رواية أبي بكر بالتاء ، وروي عن الحسن الذي نسب إليه الفراء أنه يقرأ بالياء القراءة بالتاء.
السبعة ٥٩٢، والتيسير ١٧٣، والمحرر ١٤/٢٩٩، والنشر ٢/٣٧١.

(٣) معاني القرآن ٣/٤٣.

(٤) جامع البيان ٢٥/ ١٣٢-١٣٣.

(٥) إعراب القرآن ٤/١٣٤.

(٦) الحجة ٦/١٦٦.

(٧) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : علل القراءات ٢/٦٢١، وإعراب القراءات السبع ٢/٣٠٩، وحجة القراءات ٦٥٧، والكشف ٢/٢٦٤، وشرح الهداية ٢/٥١١، والتبيان في تفسير القرآن ٩/٢٣٨، والوسيط ٤/٩٢، ومعالم التنزيل ٧/٢٣٦، وغرائب التفسير ٢/١٠٧٨، والكشاف ٣/٥٠٦، والمحرر ١٤/٢٩٩، وكشف المشكلات ٢/١٢٢٢، ومفاتيح الأغاني ٣٦٩، والموضح ٣/١١٦٣، والبيان ٢/٣٦٠، وزاد المسير ٧/٣٤٩، والفريد ٤/٢٧٦، ومدارك التنزيل ٤/١٩٣، والبحر ٨/٣٩-٤٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أمّا قراءة "يغلي" بالياء فللنحويين في فاعل "يغلي" توجيهات عدة ، إليك بيانها :

توجيه الفراء الأول :

أن يكون فاعل "يغلي" ضميرًا عائدًا إلى الطعام ، وهذا التوجيه اقتصر عليه الفارسي(١) ومكي(٢) وابن عطية(٣) وغيرهم(٤) ، وجوّزه الطبري(٥) وأبو زرعة(٦).

توجيه الفراء الثاني :

أن يكون فاعل "يغلي" ضميرًا عائدًا إلى المهل ، وهذا التوجيه اقتصر عليه أبو عبيد(٧) وأبو حاتم(٨) والأزهري(٩) والباقولي(١٠) وغيرهم(١١) ، وجوّزه الطبري(١٢) وأبو زرعة(١٣).

---

(١) الحجة ٦/١٦٦.

(٢) الكشف ٢/٢٦٤.

(٣) المحرر ١٤/٢٩٩.

(٤) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : شرح الهداية ٢/٥١١، والوسيط ٤/٩٢، والكشاف ٣/٥٠٦، ومفاتيح الأغاني ٣٦٩، والموضح ٣/١١٦٣، وزاد المسير ٧/٣٤٩، والفريد ٤/٢٧٦، والجامع ١٦/١٤٩-١٥٠، ومدارك التنزيل ٤/١٩٣، والبحر ٧/٣٩.

(٥) جامع البيان ٢٥/١٣٣.

(٦) حجة القراءات ٦٥٧.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/١٣٤.

(٨) معاني القرآن الكريم للنحاس ٦/٤١٢.

(٩) علل القراءات ٢/٦٢١.

(١٠) كشف المشكلات ٢/١٢٢٢.

(١١) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : إعراب القراءات السبع ٢/٣٠٩، ومعالم التنزيل ٧/٢٣٦، والبيان ٢/٣٦٠.

(١٢) جامع البيان ٢٥/١٣٣.

(١٣) حجة القراءات ٦٥٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وتعقّب النحاس[١] والفارسي[٢] وغيرهما[٣] هذا القول بأنّ المهل لا يغلي في البطون ، إنّما ذُكر للتشبيه في الذوب ، والذي يغلي في البطون ما شُبّه به ، وهو قوله : "كغلي الحميم".

التوجيه الثالث :

أن يكون فاعل "يغلي" ضميرًا عائدًا إلى الزقوم ، وهذا قول جوّزه النحاس[٤] وتاج القراء الكرماني[٥] والعكبري[٦] والبيضاوي[٧].

التوجيه الرابع :

أن يكون فاعل "يغلي" ضميرًا عائدًا إلى الشجرة ، وجاز تذكير الفعل لإضافة الشجرة إلى مذكر . وهذا التوجيه جوّزه تاج القراء الكرماني[٨].

والراجح عندي أنْ يعود الضمير في "يغلي" إلى الطعام ؛ لأنّه خبر الشجرة التي يعود إليها الضمير في قراءة من قرأ بالتاء بلا خلاف ، وبذلك يكون معنى القراءتين متوافقًا ؛ لأن الطعام هو الشجرة في المعنى ، وذلك أولى.

ومع قوة هذا التوجيه ورجحانه فإني أجد أنّ توجيه عود الضمير إلى المهل يليه في

---

(١) إعراب القرآن ٤/١٣٤، ومعاني القرآن الكريم ٦/٤١٢-٤١٣.

(٢) الحجة ٦/١٦٦.

(٣) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : الكشف ٢/٢٦٤، والوسيط ٤/٩٢، وغرائب التفسير ٢/١٠٧٨، والتفسير الكبير ٢٧/٢٥١، والفريد ٤/٢٧٦.

(٤) معاني القرآن الكريم ٦/٤١٢.

(٥) غرائب التفسير ٢/١٠٧٨.

(٦) التبيان ٢/١١٤٨.

(٧) أنوار التنزيل ٧/٥١٤.

(٨) غرائب التفسير ٢/١٠٧٨.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوة ، وأمّا تعقبهم هذا القول بأنّ المهل لا يغلي في البطون فمبني على تفسيرهم للمهل المراد في الآية ، فإنهم ذهبوا إلى أنّ المهل هو المذاب من الفضة ونحوها[١].

وأقول : إنّ معنى المهل المراد في الآية مختلف فيه بين المفسرين ، وأرجح الأقوال تفسير ابن عباس وابن عمر y أنّه دُرْدِي الزيت[٢]؛ فقد روى أبو سعيد الخدري t عن النبي ﷺ في قوله : "كالمهل" أنّه قال : « كعَكَر الزيت ، فإذا قرّبه إلى وجهه سقطت فروة وجهه»[٣].

وعن عبد الله بن مسعود وابن عباس y في رواية أخرى عنه أنّ المراد بالمهل ما أذيب من فضة ونحوها[٤].

أمّا المهل في اللغة فهو من المشترك اللفظي ؛ إذ يطلق على دُرْدي الزيت ، وعلى المذاب من الفِلز[٥] ، وعلى ما يتحات من الخبزة من الرماد والجمر ، وعلى السم ، وعلى القيح ، وصديد الميت[٦].

وإذا كان أرجح الأقوال في معنى المهل في الآية أنه دُرْدي الزيت ، وهو قول جمهور المفسرين[٧] فلا تثريب على من ذهب إلى أنّ الضمير في "يغلي" يعود إلى المهل ؛ لأنّه على هذا

---

(١) إعراب القرآن ١٣٤/٤، والحجة ١٦٦/٦، وغرائب التفسير ١٠٧٨/٢.

(٢) جامع البيان ١٣١/٢٥-١٣٢ وإعراب القرآن ١٣٤/٤.

ودُرْدي الزيت : ما يبقى أسفله . الصحاح "درد" ٤٧٠/٢، والقاموس ٢٨٠.

(٣) سنن الترمذي ، كتاب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار. برقم (٢٥٨١) ٧٠٤/٤، والمستدرك ٥٠١/٢. قال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . كما أخرجه الطبري في : جامع البيان ١٣٢/٢٥.

وعكَر الزيت : دُرْديّه . الصحاح "عكر" ٧٥٦/٢، والقاموس ٤٤٤.

(٤) جامع البيان ١٣١/٢٥-١٣٢، وإعراب القرآن ١٣٤/٤.

(٥) الفلز : جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس . تهذيب اللغة "فلز" ٢١٤/١٣.

(٦) تهذيب اللغة "مهل" ٣٢٠/٦-٣٢٣، والصحاح ١٨٢٢/٥، والقاموس ١٠٥٩.

(٧) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : علل القراءات ٦٢١/٢، وإعراب القراءات السبع ٣٠٩/٢، وتفسير القرآن

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التفسير مما يؤكل ، ومما يجوز أن يغلي في البطن ، ويؤيد ذلك أنّ من فسر المهل من أصحاب هذا القول ذهب إلى أنّه دُرْدي الزيت[١].

للسمعاني ٥/١٣١، ومعالم التنزيل ٧/٢٣٦، والكشاف ٣/٥٠٦، والفريد ٤/٢٧٦، ومدارك التنزيل ٤/١٩٣، وروح المعاني ١٣/١٣١.

(١) علل القراءات ٢/٦٢١ ، وإعراب القراءات السبع ٢/٣٠٩.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣٩ـ بناء الفعل للمعلوم

قال تعالى : ﴿ `ã íhè#Œ)éÐLm ¼ç9 šc Œ& ôJÏ ŭv) ÿç‰Ÿã pè»ÿ±9$ßÿZ? Ÿr ﴾ ﴿ ¿ï3ß•íèßqèr ¨; sßß(ßß% ßaŠ‘ A$% #Œ$B ßß% ÓÎ/qèè ﴾[١].

قال الفراء : « وقراءة مجاهد[٢] : "حتى إذا فَزَّع " يجعل الفعل لله »[٣].

الفاعل في قراءة : "فَزِّع" ببناء الفعل للمعلوم هو ضمير اسم الله تعالى ، قال ذلك الفراء وجميع المعربين كالطبري[٤] والزجاج[٥] والنحاس[٦] وابن خالويه[٧] وغيرهم[٨].

---

(١) سبأ : آية ٢٣، ومثلها في بناء الفعل للمعلوم قوله تعالى: ﴿ ¬ræy. šú ï‰ßìÎ7 @Ïã ÷ŸÏa6 ßß’ îœŠ$ƒÍ ãÅÅ Y9$$JR ﴾ [التوبة : من الآية ٣٧] ببناء "يضل" للمعلوم ، وقوله تعالى : ﴿ ïŠÍ ¬qßG=z$šú ï‰ß’?ã ÷Mô¡ 9$Ïèã $JR ﴾ [النحل : من الآية ١٢٤] ببناء "جعل" للمعلوم ، وقوله تعالى : ﴿ ãr•9$ïM7îã ﴾ [الروم : آية ٢] ببناء "غلبت" للمعلوم ، وقوله تعالى : ﴿ bqã‹ÜG6ƒ Ÿù Šqã•¡9$’ bqãßã5$™ `ã ß±ßãPqƒ ﴾ [القلم : آية ٤٢] في قراءة من قرأ "تكشف" بالبناء للمعلوم ، وقوله تعالى : ﴿ ßŠR pZ_ Ÿz ßãb& ßß ÍßS@à2 ßJÏƒ& ﴾ [المعارج : آية ٣٨] ببناء "يدخل" للمعلوم ، وقوله تعالى : ﴿ ßÍ=ÍÏ ãŠ¼ãqJ ßß#Œ)r ﴾ [التكوير : آية ٨] ببناء "سئلت" للمعلوم . وهي في معاني القرآن على الترتيب : ١/٤٣٧، ٢/١١٤، ٣١٩، ٣/١٧٧، ١٨٦، ٢٤٠.

(٢) قرأ ابن عامر "فزَّع" بفتح الفاء والزاي ، وهي القراءة التي نسبها الفراء إلى مجاهد ، وقرأ باقي السبعة بضم الفاء وكسر الزاي.

السبعة ٥٣٠، والتيسير ١٨١، والنشر ٢/٣٥١، وإتحاف فضلاء البشر ٢/٣٨٧.

ونسبة قراءة ابن عامر إلى مجاهد كما نسبها إليه الفراء في : جامع البيان ٢٢/٩٣، وإعراب القرآن ٣/٣٤٥.

(٣) معاني القرآن ٢/٣٦١.

(٤) جامع البيان ٢٢/٩٣.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٥٣.

(٦) إعراب القرآن ٣/٣٤٥.

(٧) إعراب القراءات السبع ٢/٢١٧.

(٨) تنظر آراؤهم من خلال كتبهم الآتية : علل القراءات ٢/٥٥٤، وحجة القراءات ٥٨٩، والكشف ٢/٢٠٥-٢٠٦، وشرح الهداية ٢/٤٨١، والوسيط ٣/٤٩٤، وغرائب التفسير ٢/٩٣٥، والكشاف ٣/٢٢٨، والمحرر ١٣/١٣٤-١٣٥، ومفاتيح الأغاني ٣٣٩، والموضح ٣/١٠٥٤، والتبيان ٢/١٠٦٨، والدر ٩/١٨١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والمعنى على هذه القراءة : كشف الله الفزع عن قلوبهم[١].

ويرى أبو حيان أنّ الضمير في "قلوبهم" من قوله : « حتى إذا فزع عن قلوبهم » إن كان عائدًا على المشركين ففاعل "فُزِّع" ضمير يعود إلى مغويهم ، وهو الشيطان[٢].

وما قاله أبو حيان في عود الضمير من الأقوال التي قيلت فيه ، ومنها أيضًا أنّ الضمير في "قلوبهم" عائد إلى الملائكة الذين دعوهم آلهة وشفعاء[٣] ، وقيل : إنّه يعود إلى الملائكة حين يسمعون كلام الله ــ عز وجل ــ ؛ فإنّهم يفزعون من غشية تصيبهم[٤].

وقيل : إنّ الملائكة في الفترة بين عيسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ ومحمد ﷺ لم تسمع وحيًا ، فلمّا كلّم الله جبريل ــ عليه السلام ــ بالرسالة إلى محمد ﷺ فزعت خوفًا أن يكون في أمر الساعة[٥].

وقيل : إنّ الضمير يعود إلى الشافعين والمشفوع لهم[٦].

والمترجح عندي أنّ الضمير يعود إلى الملائكة الذين دعاهم المشركون آلهة وشفعاء؛ لمناسبته سياق الآيات[٧] ، وعليه ففاعل "فزَّع" ضمير اسم الله تعالى قطعًا.

---

(١) جامع البيان ٢٢/٩٣، والوسيط ٣/٤٩٤، والموضح ٣/١٠٥٤.

(٢) البحر ٧/٢٧٨.

(٣) البحر ٧/٢٧٦-٢٧٧، وحاشية زاده ٦/٦٩٨.

(٤) المحرر ١٣/١٣٤، والبحر ٧/٢٧٧، وحاشية زاده ٦/٦٩٨-٦٩٩.

(٥) معاني القرآن ٢/٣٦١-٣٦٢، وإعراب القراءات السبع ٢/٢١٧، والكشف ٢/٢٠٥-٢٠٦، والوسيط ٣/٤٩٤، وغرائب التفسير ٢/٩٣٥.

(٦) أنوار التنزيل ٦/٦٩٨.

(٧) النهر الماد ٧/٢٧٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٤٠ ـ ضبط الفاعل والمفعول بعد الفعل (لقي)

قال تعالى : ﴿ ãΝn=÷ètƒ ¨βÎ) ©!$# ¨≅ä. >ó§y™ ¾ÏmÎ/ ÏΒ ÈβøŒÎ*Î/ ÏM≈tƒ$t↔Î/ (﴾[١].

قال الفراء : « وقد قرأ بعض القراء[٢] : "فتلقَّى آدمَ من ربِّه كلماتٌ" ، فجعل الفعل للكلمات ، والمعنى ـــ والله أعلم ـــ واحدٌ ؛ لأنّ ما لقيك فقد لقيته ، وما نالك فقد نلته. وفي قراءتنا : ﴿ ωÎ) tβθãΖÏΒ÷σßϑø9$# ﴾[٣]، وفي حرف عبد الله[٤] : "لا ينال عهدي الظالمون"» [٥].

قرأ ابن كثير برفع "كلمات" ونصب "آدم" ؛ فـ"كلمات" فاعل لـ"تلقّى" ، و"آدم" مفعول به ، هذا هو توجيه الفراء ومن جاء بعده من المعربين كالأخفش[٦] والطبري[٧] وابن خالويه[٨] والفارسي[٩] ومكي[١٠] وغيرهم[١].

---

(١) البقرة : آية ٣٧.

(٢) قرأ ابن كثير بنصب "آدم" ورفع "كلمات" ، وقرأ باقي السبعة برفع "آدم" ونصب "كلمات".
السبعة ١٥٤، والتيسير ٧٣، والعنوان ٦٩، والإقناع ٢/٥٩٧.

(٣) البقرة : من الآية ١٢٤.

(٤) قراءة عبد الله بن مسعود t في : شواذ ابن خالويه ١٦، ونسبت له ولأبي رجاء والأعمش في : إعراب القرآن للنحاس ١/٢٥٨، وله ولأبي بن كعب ـــ رضي الله عنهما ـــ في : شواذ القراءات ٧٤.
والقراءة غير معزوة في : معاني القرآن للأخفش ١/١٥٤.

(٥) معاني القرآن ١/٢٨.

(٦) معاني القرآن ١/٧٤.

(٧) جامع البيان ١/٢٤٣.

(٨) إعراب القراءات السبع ١/٨٣.

(٩) الحجة ٢/٤٠-٤١.

(١٠) الكشف ١/٣٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقد ذكر الفراء نظيرًا لهذه الآية في إسناد الفعل إلى الفاعل تارة وإسناده إلى المفعول تارة ، وهو قوله تعالى : « لا ينال عهدي الظالمين » ، وفي قراءة عبد الله : « لا ينال عهدي الظالمون » ؛ ففي قراءة عبد الله أسند الفعل إلى "الظالمون" ، وفي قراءة غيره أسند إلى "عهدي".

والمعنى في قراءة ابن كثير وقراءة باقي السبعة واحد[٢] ، وكذا الأمر في قراءة عبد الله وقراءة غيره[٣] ؛ لأنّ "تلقّى" و"نال" من الأفعال التي يكون إسنادها إلى الفاعل كإسنادها إلى المفعول به[٤] ؛ فالمعنى في قراءة ابن كثير أنّ الكلمات استقبلته واتصلت به[٥] ، والمعنى في قراءة السبعة استقبال الكلمات بالأخذ بها[٦].

---

(١) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : علل القراءات ١/٤٥، وحجة القراءات ٩٤، وشرح الهداية ١/١٦٣، والتبيان في تفسير القرآن ١/١٦٧، والوسيط ١/١٢٥، ومعالم التنزيل ١/٨٥، والكشاف ١/٢٧٤، والمحرر ١/١٩٠، = وكشف المشكلات ١/٣٦، ومجمع البيان ١/١٩٩، ومفاتيح الأغاني ١٠١، والموضح ١/١٦٦، والبيان ١/٧٥، وزاد المسير ١/٦٩، والتبيان ١/٥٤، والفريد ١/٢٧٧، وإبراز المعاني ٣٢٣، وأنوار التنزيل ١/٥٥٠، ومدارك التنزيل ١/٨٤، والبحر ١/١٦٥، والدر ١/٢٩٥.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/٢٨، والحجة ٢/٤١، والوسيط ١/١٢٥.

(٣) معاني القرآن للفراء ١/٢٨، والدر ٢/١٠٣-١٠٤.

(٤) الحجة ٢/٤١، والتبيان في تفسير القرآن ١/١٦٧.

(٥) الكشاف ١/٢٧٤، والفريد ١/٢٧٧، وأنوار التنزيل ١/٨٤.

(٦) جامع البيان ١/٢٤٢-٢٤٣، وروح المعاني ١/٢٣٨.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٤١ـ التعاقب بين إسناد الفعل إلى الفاعل الغائب وإسناده إلى الفاعل المخاطب

قال تعالى : ﴿ $RÆBÚ? $JÏ%Ø‰à ó§ ß»Hq$S$$Br {qà% Ç»Hq$Sï {r‰ÚÓ'$ÆÇ9 ØŠ% #Ê)r ﴾ #Yqà‰Ç¤ŠŠ–r ﴿[١].

قال الفراء : « وقوله : "أنسجد لما يأمرنا" و"تأمرنا" ، فمن قرأ بالياء أراد مسيلمة ، ومن قرأ بالتاء[٢] جاز أن يريد مسيلمة أيضًا ، ويكون للأمر أنسجد لأمرك إيانا ؟ ومن قرأ بالتاء والياء يراد به محمد ﷺ ، وهو بمنزلة قوله : ﴿ šc qçÓóÇ™ {rãy. šú ï‰Ø@è ﴾ [٣] و"سيغلبون" ، والمعنى لمحمد ﷺ »[٤].

---

(١) الفرقان : آية ٦٠، ومثل هذه في التعاقب بين إسناد الفعل إلى الفاعل المخاطب وإسناده إلى الفاعل الغائب قوله تعالى : ﴿ šc qß-ê/ Ïöy‰Ø ¼çZÍÄr MÒ'Š{qà‹Ír Ï M»/¥S$ÎÇç š• ï°‹.r ﴾ [الأنعام : آية ١٠٥] في قراءة من قرأ : "وليقولوا درس" ، وقوله تعالى : ﴿ šc qäÏ3çŠÃ 4?»è?r ¼ç‰s3Ø' qÆÉèÓó ïŸù‹ $ÆÄ #Ä ﴾ [النحل : آية ١] في قراءة "عما تشركون"بالتاء ، وقوله تعالى : ﴿ ç9)ù $¥FÅ2 ÏJ»ŠÉÆPó/ ¼ç9 ß‰ÆÄr ¾ïÍÉZÄ 'Ï ¼çÉÚ ç»Ø“Ä ?» ¡Ï@är ﴾ ' ‰ó çŸù $ŽÜÄ' ¾ïÍÍóï $Zè_ ß)ù ﴿ [الإسراء : آية ١٣] في قراءة : "ويخرج له" بالياء ، وقوله تعالى : ﴿ ÆïÜ»Bî¤ $Ré@à2 {qãßR Pó/ ﴾ [الإسراء : من الآية ٣٣] في قراءة "فلا تسرف" بالتاء ، وقوله تعالى: ﴿ Ä $Z9ŠÉ°qÄ pÏ{qç‰ $Yh `B Oè?#ä $Br ﴾ [ الإسراء : من الآية ٧١ ] في قراءة : "يدعو" بالياء ، وقوله تعالى : ﴿ '#Å$èÄbq7ÍÈ@/ ž . ﴾ [الروم : من الآية ٣٩ ] في قراءة " لتربوا" بالتاء ، وقوله تعالى : ﴿ bqçè‹™ ž . ﴾ [ القيامة : آية ٢٠ ] في قراءة : "يحبون" بالياء ، وقوله تعالى : ﴿ 9Û ` ã $)7Û ûã‰Ä9 ﴾ [النبأ : آية ٤] في قراءة: "ستعلمون" بالتاء ، وقوله تعالى: ﴿ bqçÉ3è@/ ž . ﴾ [الانفطار : آية ٩] في قراءة "يكذبون" بالياء ، وقوله تعالى: ﴿ 97Ù ûã $)7Ù ûã‰Ä9 ﴾ [الانشقاق: آية ١٩] في قراءة: "ليركبن" بالياء.وهي في معاني القرآن على الترتيب:١/٣٤٩، ٢/٩٤، ١١٨، ١٢٣، ١٢٧، ٣٢٥، ٣/٢١١، ٢٢٧، ٢٤٤، ٢٥٢.

(٢) قرأ حمزة والكسائي : "يأمرنا" بالياء ، وقرأ باقي السبعة بالتاء.
السبعة ٤٦٦، والتيسير ١٦٤، والإقناع ٢/٧١٥، والنشر ٢/٣٣٤.

(٣) آل عمران : من الآية ١٢، وقراءة "سيغلبون" بالياء لحمزة والكسائي ، وقراءة "ستغلبون" بالتاء لباقي السبعة.
السبعة ٢٠٢ ، والتيسير ٨٦، والنشر ٢/٢٣٨.

(٤) معاني القرآن ٢/٢٧٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ذكر الفراء في قوله تعالى : « أنسجد لما تأمرنا » قراءتين سبعيتين ؛ قراءة : "يأمرنا" بالياء، وقراءة: "تأمرنا" بالتاء، أمّا قراءة : "يأمرنا" بالياء ففي الفاعل أقوال ثلاثة ، إليك بيانها:

توجيه الفراء الأول :

أن يكون فاعل "يأمرنا" ضميرًا يعود إلى "الرحمن" على أنّ المراد به مسيلمة الكذاب ؛ إذ ذكر أنه كان يقال له في الجاهلية : الرحمن[١] ، وأنّه كان يسمى بذلك قبل مولد عبد الله والد رسول الله ﷺ [٢]، وكأنّ الفراء يريد أن المعنى : أنسجد لما يأمرنا الرحمن بالسجود له[٣]؟ وهذا التوجيه اقتصر عليه الطبري[٤] وابن خالويه[٥]، وجوّزه أبو زرعة[٦] وابن عطية[٧].

توجيه الفراء الثاني :

أن يكون الفاعل ضميرًا يعود إلى محمد ﷺ ، وهذا التوجيه اقتصر عليه النحاس[٨] والفارسي[٩] ومكي[١٠] وأكثر النحويين[١١] ، وجوّزه أبو زرعة[١٢] وابن عطية[١٣].

---

(١) معاني القرآن ٢/٢٧٠، وجامع البيان ١٩/٢٩.

(٢) الروض الأنف ٧/٤٤٣.

(٣) جامع البيان ١٩/٢٩، وحجة القراءات ٥١١-٥١٢.

(٤) جامع البيان ١٩/٢٩.

(٥) إعراب القراءات السبع ٢/١٢٣.

(٦) حجة القراءات ٥١١-٥١٢.

(٧) المحرر ١٢/٣٤.

(٨) إعراب القرآن ٣/١٦٥، والقطع والائتناف ٥٢٥.

(٩) الحجة ٥/٣٤٦.

(١٠) الكشف ٢/١٤٦.

(١١) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : علل القراءات ٢/٤٦٦، وشرح الهداية ٢/٤٤٥، ومجمع البيان ٤/٢٧٢، ومفاتيح الأغاني ٣٠٤، والموضح ٢/٩٣١، والدر ٨/٤٩٤، وروح المعاني ١٠/٤٠.

(١٢) حجة القراءات ٥١١-٥١٢.

(١٣) المحرر ١٢/٣٤.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التوجيه الثالث :

أن يكون الفاعل ضميرًا يعود إلى "الرحمن" لا على أنّ المراد به مسيلمة الكذاب ، بل على أنّ المراد به الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ ، وهذا التوجيه قاله أبو عبيد ، وقصر توجيه القراءة عليه ، ومن ثمَّ استبعد القراءة استبعادًا شديدًا ؛ لأنّهم لو أقرّوا بأنّ الرحمن أمرهم ما كانوا كفارًا(١).

ومنع الفارسي حمل القراءة على ما ذهب إليه أبو عبيد ؛ لإنكارهم الرحمن ـــ تعالى وتقدس ـــ بقولهم : "وما الرحمن"(٢)؟

وما ذكره الفارسي ليس بلازم ؛ لجواز أن يكون سؤالهم في هذه الآية للاستعلام عما يجهلونه، فلا مانع من أن يكون المعنى: أنسجد لما يأمرنا المسمى بالرحمن،ولا نعرف ما هو(٣)؟

أمّا قراءة : "تأمرنا" بالتاء فذكر الفراء فيها توجيهين :

الأول : أن يكون الفاعل ضميرًا يراد به مسيلمة الكذاب ، و لم أقف على من وافق الفراء في ذلك.

الثاني : أن يكون الفاعل ضميرًا يراد به الرسول ﷺ ، وهذا التوجيه عليه جميع من وقفت على كلامه من النحويين(٤).

والراجح فيما أراه أن يكون الفاعل في القراءتين محمدًا ﷺ ؛ لصحة المعنى عليه ،

---

(١) القطع والائتناف ٥٢٥، وإعراب القرآن للنحاس ١٦٥/٣.

(٢) الحجة ٣٤٦/٥. وينظر : التبيان في تفسير القرآن ٥٠٠/٧.

(٣) الكشاف ٩٨/٣، والفريد ٦٣٩/٣، وإبراز المعاني ٦١٨، والبحر ٥٠٩/٦.

(٤) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : جامع البيان ٢٨/١٩-٢٩، وعلل القراءات ٤٦٦/٢، وإعراب القراءات السبع ١٢٣/٢، والحجة ٣٤٦/٥، وحجة القراءات ٥١٢، والكشف ١٤٦/٢، وشرح الهداية ٤٤٦/٢، والتبيان في تفسير القرآن ٥٠٠/٧، والمحرر ٣٤/١٢، ومجمع البيان ٢٧٢/٤، والموضح ٩٣١/٢، والفريد ٦٣٨/٣-٦٣٩، وإبراز المعاني ٦١٨، والجامع ٦٤/١٣، والبحر ٥٠٩/٦، والدر ٤٩٤/٨.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

واتفاق أكثر المعربين عليه في القراءتين ، وبه تتفق القراءتان في المعنى.

٤٢ـ قلب الإعراب

قال تعالى : ﴿ ¾íÏ‰Zïã ôÏB ÆÍqç‘ ÓÍ_9?#är ’Îûç `ÏB 7ÝÉZ 4?ã ÆMZäb)ÎèÏèçR‘&ÉQ)»ƒ A$% ﴾ bqèÛ». $I; ÓÉ&r $dqßÜÅÁÏÛ ÆÆæ ÑÏÜãù ﴾[١].

قال الفراء : « وقوله : "فعُمِّيت عليكم" قرأها يحيى بن وثَّاب والأعمش وحمزة[٢] ، وهي في قراءة أُبَيّ[٣] : " فعمّاها عليكم" ، وسمعت العرب تقول : "قد عُمِّي عليَّ الخبر، وعَمِي عليّ" بمعنى واحد. وهذا مما حوَّلت العرب الفعل إليه ، وليس له ، وهو في الأصل لغيره ؛ ألا ترى أنّ الرجل الذي يَعْمَى عن الخبر أو يُعمّى عنه ، ولكنّه في جوازه مثل قول العرب : "دخل الخاتم في يدي ، والخف في رجلي" ، وأنت تعلم أنّ الرجل التي تدخل في الخف والأصبع في الخاتم، فاستخفوا بذلك إذا كان المعنى معروفًا لا يكون لذا في حال ، ولذا في حال ، إنما هو لواحد ، فاستجازوا ذلك لهذا ، وقرأه العامة : "فعَمِيت"» [٤].

في قراءة أكثر السبعة "فعَمِيت" ببناء الفعل للمعلوم وإسناده إلى ضمير البينة[٥] إشكال؛ فالبينة لا تعمى ، إنّما الناس هم الذين يعمون عنها ؛ لذا للنحويين في القراءة ثلاثة توجيهات، إليك بيانها :

---

(١) هود : آية ٢٨.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص بن عاصم : "فعُمِّيت" بضم العين وتشديد الميم ، وقرأ باقي السبعة : "فعَمِيت" بفتح العين وتخفيف الميم ، وهي التي نسبها الفراء إلى العامة.

السبعة ٣٣٢، والتبصرة ٥٣٨، والإقناع ٦٦٤/٢، والنشر ٢٨٨/٢.

(٣) قراءة أُبَيّ t في: شواذ ابن خالويه ٦٤، وشواذ القراءات ٢٣٤، والبحر ٢١٦/٥،وإتحاف فضلاء البشر ١٢٤/٢.

(٤) معاني القرآن ١٢/٢.

(٥) اختلف في الضمير العائد في "عميت" فقيل : هو عائد على البينة ، وقيل : هو عائد على الرحمة ، وقيل : إنّ البينة في نفسها هي الرحمة ؛ فالضمير عائد عليهما لكونهما شيئًا واحدًا . والظاهر أن الضمير عائد على البينة ليحصل الذم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

توجيه الفراء :

أن يكون إسناد الفعل إلى ضمير البينة من باب قلب الإعراب ، وهذا ما أشار إليه الفراء بقوله : « وهذا مما حولت العرب الفعل إليه ، وليس له ، وهو في الأصل لغيره» .

وتبع الفراء في هذا التوجيه الطبري[١] وابن خالويه[٢] وأبو زرعة[٣] ، واختاره ابن أبي مريم[٤] ، وجوّزه الفارسي[٥] ومكي[٦] والمهدوي[٧] وابن عطية[٨] وغيرهم[٩].

واستدل الفراء لما ذهب إليه بأنه سمع العرب تقول : "قد عُمِّي عليّ الخبر ، وعمِي عليّ" بمعنى واحد.

ومن نظائر ذلك عنده أيضًا قول العرب : "دخل الخاتم في يدي ، والخف في رجلي" ، وعلّة جواز هذا القلب عند الفراء أنّ المعنى معروف عندهم.

وردّ أبو حيان حمل القراءة على هذا التوجيه بأمرين :

١ــ أنّ القلب لا يجوز إلا في الضرورة.

٢ــ أنّه لو كان من باب القلب لتعدى الفعل بـ"عن" دون "على" ؛ لأنّه يقال :

للمخاطبين في الآية ؛ فقد جاءتهم المعجزة البينة الواضحة ومع ذلك خفيت عليهم . البحر ٥/٢١٦، والدر ٦/٣١٤-٣١٥.

(١) جامع البيان ١٢/٢٨.

(٢) إعراب القراءات السبع ١/٢٧٩.

(٣) حجة القراءات ٣٣٩.

(٤) الموضح ٢/٦٤٤.

(٥) الحجة ٤/٣٢٢.

(٦) الكشف ١/٥٢٧.

(٧) شرح الهداية ٢/٣٤٥-٣٤٦.

(٨) المحرر ٩/١٣٤.

(٩) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : التبيان في تفسير القرآن ٥/٤٧٢-٤٧٣، وغرائب التفسير ١/٥٠٤، ومجمع البيان ٣/٢٣٢، والتبيان ٢/٦٩٥، والفريد ٢/٦١٩.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

"عميت عن كذا" لا "عميت على كذا"[١].

التوجيه الثاني :

أن تكون القراءة على تضمين "عمِيت" معنى "خفيت"، وهذا التوجيه اختاره العكبري[٢] والمنتجب[٣] وأبو حيان[٤] وغيرهم[٥] ، واقتصر عليه الواحدي[٦] والزمخشري[٧] وغيرهما[٨] ، وجوّزه الفارسي[٩] ومكي[١٠] وغيرهما[١١].

ولمجيء "عمِي" بمعنى "خفي" عند القائلين بهذا التوجيه شواهد[١٢]، منها قول الشاعر[١٣]:

---

(١) البحر ٥/٢١٦.

(٢) التبيان ٢/٦٩٥.

(٣) الفريد ٢/٦١٩.

(٤) البحر ٥/٢١٦.

(٥) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : غرائب التفسير ١/٥٠٤، والدر ٦/٣١٤، وروح المعاني ٦/٢٣٩.

(٦) الوسيط ٢/٥٧١.

(٧) الكشاف ٢/٢٦٦.

(٨) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : إبراز المعاني ٥١٣، وأنوار التنزيل ٤/٦٣٨، ومدارك التنزيل ٢/٢٦٦، وغرائب القرآن ٤/١٨، والجلالين ٢/٣٩١.

(٩) الحجة ٤/٣٢٢-٣٢٣.

(١٠) الكشف ١/٥٢٧.

(١١) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : شرح الهداية ٢/٣٤٦، والمحرر ٩/١٣٤، ومجمع البيان ٣/٢٣٣.

(١٢) تنظر الشواهد في : الحجة ٤/٣٢٣-٣٢٤، والمحرر ٩/١٣٤، ومجمع البيان ٣/٢٣٣.

(١٣) البيتان من الطويل ، لذي الرمة في : ديوانه ١/١٩٨-١٩٩، والحجة ٤/٣٢٣.

و"صَرى" : الماء يطول مكثه ، و"عافي الثنايا" : دارس الطرق. و"الآجن": المتغير ، و"المخاض" : الحوامل ، و"الضوارب" : التي تضرب من دنا منها ؛ لأنها لواقح ، و"الشرَك" : جوادّ الطريق ، و"مراريّ" : واحده مَرَوْراه وهي الأرض لا شيء فيها .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وماءٍ صَـــرًى عـــافي الثَّنايـــا كأنّـــه من الأَجْن أبوال المخاض الضـــوارِبِ
عمٍ شَـــرَكُ الأقطـــارِ بـــيني وبينـــه مراريُّ مخْشِيٍّ بـــه المـــوت ناضـــبِ

وقول الآخر[١] :

ومَهْمَـــــهٍ أطرافُـــــه في مَهْمَـــــهِ أعْمى الهـــدى بالجـــاهلين العُمَّـــهِ

ومن ذلك قولهم للسحاب : العماء ؛ لأنّه يخفي ما فيه[٢].

التوجيه الثالث :

أن تكون "عميت" بمعنى "خفيت" على سبيل المجاز ، فهو استعارة تبعية ؛ شبّه خفـــاء الدليل بالعمى ؛ إذ كل منهما يمنع الوصول إلى المقاصد . وقيل : يجوز أن يكـــون اســـتعارة تمثيلية « بأن شبه الذي لا يهتدي بالحجة لخفائها عليه بمن سلك مفازة لا يعـــرف طرقهـــا ، واتبع دليلاً أعمى فيها» [٣].

هذا ما وجّه به النحويون قراءة "فَعَمِيت" ، أمّا توجيه الفراء ومن معه فهو قائم علـــى مسألة اختلف النحويون فيها ، وهي قلب الإعراب بإعطاء المفعول به حكم الفاعل في رفعـــه وإعطاء الفاعل حكم المفعول في نصبه ، أو هو ما يسمّيه الزجاجي بـــ"المفعول المحمول على المعنى"[٤] ؛ إذ للنحويين في جواز ذلك شرط أن يكون المعنى مفهومًا مع القلب أقوال ثلاثة :

القاموس المحيط "صرَى" ١٣٠٣، و"أجن" ١١٧٤، و"شرك" ٩٤٤، و"مرو" ١٣٣٤.

(١) من الرجز ، لرؤبة في : ديوانه ١٦٦، والحجة ٤/ ٣٢٣، ومجمع البيان ٣/٢٣٣، وفي الحجة ومجمع البيان برواية : أعمى الهدى في الحائرين العمَّه.

و"مهمه" : المفازة البعيدة ، و"العُمَّه" : جمع "عمِه" ، يقال : "رجل عمِه" إذا كان مترددا في رأيه متحيرًا.

اللسان "عمِه" ١٣/٥١٩.

(٢) الحجة ٤/٣٢٣، والمحرر ٩/١٣٤.

(٣) حاشية الشهاب ٥/١٥٤، وينظر : الدر ٦/٣١٤، وروح المعاني ٦/٢٣٦.

(٤) الجمل ٢٠٣.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أولها : أنّه يجوز في الكلام شعرًا أو نثرًا اتكالاً على فهم المعنى .

وهذا المذهب هو مذهب الفراء[١] وأبي عبيدة[٢] والأخفش[٣] والمبرد[٤] وثعلب[٥] وابن الأنباري[٦] والفارسي[٧] وغيرهم[٨].

وتردد السيرافي في إجازة القلب في سعة الكلام ؛ فبعد أن جعله من الضرورة قال : « ولو قال قائل : إنّ التقديم والتأخير فيما ذكرناه ليس من الضرورة لم يكن عندي بعيدًا ؛ لأنها أشياء قد فهم معانيها»[٩].

واستدل القائلون بجوازه شعرًا ونثرًا بشواهد عدة[١٠] ، منها قوله تعالى : ﴿ tbqè=ÏG÷ès? ... tbqßJÏèôÒßJø9$# ﴾[١١]، والعصبة هي التي تنوء بالمفاتيح.

واستدلوا بقول العرب : "إنّها لتنوء عجيزتُها" ، والمعنى أنّها هي التي تنوء بعجيزتها ، وبقولهم : "دخلت القلنسوة في رأسي"[١٢]، وبقول الشاعر[١] :

---

(١) معاني القرآن ٢/١٢، وينظر : ١/٩٩، ١٣١-١٣٢.

(٢) مجاز القرآن ٢/٣٨-٣٩.

(٣) معاني القرآن ١/١٤٠-١٤١.

(٤) الكامل ١/٤٧٥-٤٧٦.

(٥) أمالي ابن الشجري ٢/١٣٦-١٣٧.

(٦) الأضداد ٩٩-١٠٢.

(٧) الحجة ٤/٣٢٢، والشعر ١/١٠٥-١٠٩.

(٨) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : تأويل مشكل القرآن ١٩٤، والمحتسب ٢/١١٧-١١٨، وأمالي ابن الشجري ٢/١٣٥، وشرح الكافية الشافية ٢/٦١٢، ورصف المباني ٣٨٩-٣٩٠، ومغني اللبيب ٩١١، ٩١٧.

(٩) ما يحتمل الشعر من الضرورة ٢١٥.

(١٠) تنظر الشواهد في : مجاز القرآن ٢/٣٨-٣٩، ومعاني القرآن للأخفش ١٤٠-١٤١، والأضداد ٩٩-١٠٢، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/١٨١-١٨٦، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢/٣٢٣-٣٢٨.

(١١) القصص : من الآية ٧٦.

(١٢) مجاز القرآن ٢/٣٩، وما يحتمل الشعر من الضرورة ٢١٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مثل القنافذ هــدَّاجون قــد بَلَغَــت نجرانَ أوْ بلَغَــتْ ســوآتِهم هجــرُ

الثاني : جواز القلب في الضرورة على التأويل ، وذلك بأنْ يحمل الكلام على معــنى يصح الإعراب عليه.

وإلى هذا ذهب ابن السراج(٢) والزجاجي(٣) وابن عصفور(٤) وغيرهم(٥).

وإنما كان القلب خاصًّا بالشعر دون النثر عند هؤلاء ؛ لأنّه لم يكثر في النثر كثرته في الشعر ، فما جاء منه في النثر يحفظ ولا يقاس عليه.

الثالث : جواز القلب في الضرورة دون تأويل ، وهو مذهب نسبه ابن عصــفور إلى بعض النحويين(٦) ، وعدّه فاسدًا ؛ لأنّ الضرورة لا بد أن تحمل على وجه تصح عليه(٧).

والراجح عندي هو المذهب الأول ؛ لتوافر شواهد قلب الإعراب في الكــلام نثــرًا وشعرًا ، وعدم المانع من ذلك ، بل ربما يكون في قلب الإعراب من إثارة التفكير وشدّ الانتباه

---

(١) من البسيط ، للأخطل من قصيدة هجا بها جريرًا وقومه في : ديوانه ١٥٤، ومجاز القرآن ٣٩/٢، ومعــاني القــرآن للأخفش ١٤١/١، وتأويل مشكل القرآن ١٩٤، والكامل ٤٧٥/١، والأصول ٢٦٥/٣، وما يحتمل الشــعر مــن = الضرورة ٢٠٩، والشعر ١٠٧/١، والمحتسب ١١٨/٢، وأمالي المرتضى ٤٦٦/١، وأمالي ابن الشــجري ١٣٦/٢، وضرائر الشعر ٢٦٨.

و"هدّاجون" : جمع هدّاج ، وهو الذي يمشي في ارتعاش.

الصحاح "هدج" ٣٤٩/١.

(٢) الأصول ٤٦٣/٣-٤٦٧.

(٣) الجمل ٢٠٣.

(٤) ضرائر الشعر ٢٧١.

(٥) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : ما يجوز للشاعر عند الضرورة ١٠٣ ، والبحر ٢١٦/٥، وهمع الهوامع ٨/٣.

(٦) ضرائر الشعر ٢٧١.

(٧) شرح جمل الزجاجي ١٨١/٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وتمكين المعنى المراد في النفس ما لا يكون لو جاء الكلام على أصله دون قلب[١].

وعلى ذلك لا أرى أنّ التوجيه الأول الذي حمل عليه الفراء ومن تابعه القراءة ضعيفًا ، كما أنّ رد أبي حيان هذا التوجيه بأنّه لو كان من القلب لعُدي الفعل بـــ"عن" دون "علـــى" ليس مسلمًا له ؛ لأنّ تناوب حروف الجر مما اختلف فيه النحويون ، وكثير منهم أجازه[٢] ، ومنهم الفراء[٣] وأصحاب مذهبه الكوفيون[٤].

ولكنّي أرى أنّ التوجيه الثاني يفضل التوجيهين الآخرين من وجوه :

١ــ أنّ في حمل القراءة عليه خروجًا من حمل القراءة على وجه مختلف فيه ، وذلك أولى.

٢ــ أنّ في تعدية الفعل بـــ"على" قرينة على تضمينه معنى "خفيت" ، كما أنّ شرط التضمين وهو وجود مناسبة بين الفعلين متحققة هنا ؛ فالمناسبة ظاهرة بين "عمي" و"خفي".

٣ــ أنّ القراءة حين تحمل عليه توافق في المعنى القراءة السبعية الأخرى ، وهي قراءة "عُمِّيت" ، فإنها بمعنى "أخفيت" ، وتوافق معنى القراءتين أولى.

---

(١) لغة الشعر ٢٨٥.

(٢) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : مجاز القرآن ١/١٤، ٩٤، ومعاني القـــرآن للأخفـــش ١/١٣١، ٢٢٤، وأدب الكاتب ٥٠٦، والأزهيّة ٢٦٧-٢٩٠، وشرح التسهيل ٣/١٣٠-١٨٤.

(٣) معاني القرآن ١/٦٣، ٢١٨، ٣٢٤، ٢/٧، ١٨٦-١٨٧، ٣/٢٤٢-٢٤٣، ٢٤٦.

(٤) الجنى الداني ٤٦، وهمع الهوامع ٤/٢١٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com